هدية غير متوقعة من أحد أعظم الكتّاب

غابرييل غارسيّا ماركيز

موعدُنا في شهر آب

طبعة بإشراف كريستوبال بيرا

مكتبة

ترجمة: وضّاح محمود

التنوير

غابرييل غارسيّا ماركيز

موعدُنا في شهر آب

الكتاب: موعدُنا في شهر آب، (رواية)
تأليف: غابرييل غارسيّا ماركيز
ترجمة: وضّاح محمود
عدد الصفحات: 128 صفحة
الترقيم الدولي: 6-262-472-614-978
الطبعة الأولى: 2024

الناشر
دار التنوير

لبنان: بيروت– الرملة البيضاء– بناية بنك لبنان والخليج– الطابق الثاني
هاتف: 009611797434
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
تونس: 16 الهادي خفشة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com
موقع إلكتروني: www.daraltanweer.net
www.daraltanweer.com

غابرييل غارسيّا ماركيز

موعدُنا في شهر آب

طبعة بإشراف كريستوبال بيرا

ترجمة
وضّاح محمود



مقدّمة

كان فقدان الذاكرة الذي عاناه والدُنا في السنوات الأخيرة من حياته أمرًا غايةً في الصعوبة علينا جميعًا، مثلما يمكن لأيّ امرئ أن يتصوّر بسهولة. أمّا الطريقة التي أثّر بها هذا الفقدان على قدراته الذاتيّة في متابعة الكتابة بِدَأَبِه المعهود، فقد كانت مصدر خيبة وإحباط له شخصيًّا. وفي إحدى المرّات أفصح لنا عن ذلك بوضوحِ الكاتب العظيم وبلاغته، إذ قال: «إنّ الذاكرةَ مادّتي الأوليّة وعدّةُ عملي في الوقت عينه، ومن دونها لا وجودَ لأيّ شيء».

إنّ رواية ***موعدُنا في شهر آب*** هي ثمرة آخرِ جهوده لمواصلة الخلق والإبداع رغم الظروف القاهرة التي مرّ بها. ولقد كُتِبَت في مسارٍ تأرجحَ فيه الكاتبُ بين نزوعه إلى الكمال وخيانة قدراته الذهنيّة له. أمّا الأخذ والردّ الطويلان اللذان تعرّضت لهما النسخ الكثيرة من الرواية، فقد تحدّث عنهما بالتفصيل صديقنا كريستوبال بيرا في

ملاحظاته المُلحقة بهذه الطبعة، وذلك بطريقة أفضل بكثير ممّا يمكن لنا أن نفعل نحن الاثنين معًا. ففي تلك الأثناء لم نكن نعلم شيئًا عن الكتاب باستثناء حكم غابو عليه: «هذا الكتاب لا نفع منه أبدًا ولا بدّ من تمزيقه».

لم نمزّق الكتاب، بل ارتأينا أن نتركه جانبًا، أملًا في أن يبتّ الزمن بما نحن فاعلان به مستقبلًا. وبعد ما يقارب عشر سنوات على رحيل والدنا، قرأنا النصّ مرّةً أخرى، فتبيّن لنا أنّه يزخر بمزايا كثيرة يمكن الاستمتاع بها. في حقيقة الأمر، لا يبدو هذا النصّ مصقولًا كما هو حال أعماله العظيمة الأخرى، ففيه بعض العثرات والتناقضات الصغيرة، إنّما ليس فيه أيّ شيء يمنع القارئ من التمتّع بأبرز ما في أعمال غابو من سمات مميّزة مثل قدرته على الابتكار، ولغته الشعريّة، وأسلوبه الآسر في السرد، وفهمه لطبيعة الإنسان، واستئناسه بتجاربه السعيدة منها والتعيسة أيضًا، لا سيّما في عالم الحبّ. فالحبّ قد يكون محور أعماله كلّها ومرتكزها.

وبعد أن ارتأينا أنّ الكتاب أفضل بكثير من ذكرياتنا عنه، تراءى لنا احتمالٌ آخر حول رأي غابو فيه، مفاده أنّ اضمحلال مَقْدِراته التي حالت بينه وبين إنهائه، حالت

أيضًا بينه وبين رؤيته لمدى جودته، على ما فيه من معايب. ولذا قرّرنا بفعلٍ يقارب أفعال الخيانة أن ننشره مراهنين على مسرّة القرّاء قبل أيّ اعتبار آخر. فإنْ هم احتفوا بالكتاب وسُرّوا به، فعسى أن يغفر لنا غابو فعلتنا ويعفو عنّا. وهذا ما نأمله من صميم أعماقنا حقًّا.

رودريغو وغونثالو ماركيز بارتشا

1

عادت إلى الجزيرة يوم الجمعة في السادس عشر من شهر آب، على متن عبّارة الساعة الثالثة من بعد الظهر. كانت ترتدي بنطالًا من الجينز وقميصًا اسكُتلنديًّا من القماش المضلّع، وتنتعل حذاءً عاديًّا، واطئ الكعب، ولا ترتدي جوارب، وفي يدها مظلّة من قماش الأطلس، فضلًا عن حقيبتها النسائية، ولا متاع آخر في حوزتها سوى حقيبة صغيرة من حقائب الشاطئ. انتقت من سيّارات التاكسي المصطفّة على رصيف المرفأ سيّارة من طراز قديم، تهالكت بفعل ملوحة جوّ البحر، وقصدتْها فورًا. استقبلها السائق وحيّاها تحيّة الأصدقاء، ثمّ انطلق بها عبر القرية الفقيرةِ ذات البيوت التي بُنِيَت جدرانُها بالطين والقصب، وسُقِف بسعف النخيل الاستوائيّ، فأخذت سيارته تترجرج وتتمايل في الشوارع المفروشة بالرمال المتّقدة قبالة البحر اللاهب. تعيَّن عليه أن يناورَ كثيرًا أثناء القيادة حتى يتفادى الخنازير التي لا تخشى شيئًا، ويتجنّب الأطفالَ العراةَ وهم يهزأون به عند مروره بمحاكاتهم حركات مصارعي الثيران. ولمّا وصل إلى أقاصي القرية، دخل في شارع عريض تحفُّ به أشجار النخيل الملكيّ الباسقة، حيث

تنبسط الشواطئ وتنهض الفنادق السياحيّة بين البحر المفتوح على المدى والبحيْرة الداخليّة التي استوطنتْها طيور مالك الحزين الزرقاء. وأخيرًا توقّف أمام أحد الفنادق، وكان أقدمَها وأقلَّها بريقًا.

كان البوّاب ينتظرها حاملًا سجلّ النزلاء كي توقّع عليه، وكذلك مفاتيح الغرفة الوحيدة التي تُطلّ على البُحيرة من الطابق الثاني. صعدتِ الأدراجَ بخطًى واسعة، ودخلت الغرفة المتواضعة التي تفوح فيها رائحة مبيدٍ للحشرات رُشّ للتوّ، ويكاد السرير المزدوج الكبير أن يَشْغلها بأكملها. أخرجَت من حقيبتها محفظة جلديّة صغيرة تحتوي أدواتِ التزيّن، وكتابًا سميكًا، صفحاتُه خشنة الحوافّ، وضعتْه على كومودينة السرير، وكان مُعلَّمًا عند إحدى الصفحات بقطّاعة للورق مصنوعةٍ من العاج. ثمّ أخرجت قميصَ نوم من الحرير الورديّ ودسّته تحت المخدّة. وبعدها أخرجت شالًا من الحرير المزيَّن بالطيور الاستوائيّة، وقميصًا أبيضَ، قصيرَ الكمّيْن، وحذاءً رياضيًّا قديمًا، وذهبت بها إلى الحمّام مع المحفظة الجلديّة الصغيرة.

وقبل أن تبدأ بالتزيّن نزعت خاتم الزواج، وساعة اليد الرجّاليّة التي تضعها في معصم يدها اليمنى، ثمّ تركتهما على أحد رفوف المغسلة، فمسحت وجهَها بالماء سريعًا كي تنفض عنه وعثاء السفر وتزيل نعاس الظهيرة. ولمّا انتهت من تنشيفه، رازت براحتيها أمام المرآة ثدييْها المكوَّرَيْن، الشامخَيْن رغم ولادتَيْها

الاثنتيْن. ثمّ شدّت وجنتيْها إلى الخلف بأطراف أصابعها كي تتذكّر نفسها كيف كانت في صباها. أغفلت التجاعيد البارزة في رقبتها، إذ لا سبيل للخلاص منها أبدًا، وتفحّصت أسنانها الرائعة التي نظّفتْها منذ قليل، بعد الغداء في العبّارة. فركت بمزيل التعرّق إبطيْها المحلوقيْن حلاقة ناعمة، ثمّ ارتدت القميص القطنيّ الخفيف الذي طُرِّزت باليد على جيْبه الأحرفُ الأولى من اسمها **AMB**. مشّطت شعرها الهنديَّ المسترسل حتّى كتفيْها، وربطتْه كذيْل الحصان بالشال المزيَّن بالطيور. وختمت تزيّنها بأن طرّت شفتيْها بقلم الشفاه الذي كان من الفازلين العاديّ، ورطّبت سبّابتيْها بلسانها لتُمَلّسَ بهما حاجبيْها المُتّصلين، ثمّ رشّت خلف كلّ أذن من أذنَيها رشّةً من عطر **ماديراس دي أورينتي**، فَألفَت نفسَها أخيرًا في المرآة أمام أمٍّ في خريف العمر. كان لبشرة وجهها الخالية من أيّ أثر لمُستحضَرات التجميل، لون العسل ومظهره، فبدت عيناها الزّبرجديّتان، بأجفانهما البرتغاليّة الداكنة، رائعتَيْن. تأمّلت وجهَها عميقًا، وتفحّصتْه بإمعان، فألْفت نفسها على ما يُرام، تكاد تكون مثلَما تشعر. ولم تُدرك تأخّرَها عن موعدها إلّا حينما وضعت الخاتم في إصبعها وساعة اليد في معصمها، إذ لاحظت أنّه لم يعد يفْصلها عن تمام الرابعة غير ستّ دقائق. لكنّها اقتنصت دقيقةً من زمن الشوق والحنين، وتأمّلت

من خلال النافذة طيور مالك الحزين وهي تحلّق بثبات، باسطة أجنحتها في غبش البحيْرة اللاهب.

كانت سيّارة التاكسي تنتظرها عند البوّابة، تحت أشجار الموز، فانطلقت بها من دون أن تنتظر منها أيّ أوامر، وأخذت تسير عبر الشارع العريض الذي تحفّ به أشجار النخيل، إلى أن وصلت إلى فسحة بين الفنادق، أُقيمت فيها سوقٌ شعبيّةٌ في الهواء الطلق، فتوقّفت عند إحدى بَسْطات بيع الأزهار. خلف البَسْطة، كانتِ امرأةٌ سوداءُ، ضخمة الجثّة، تجلس على أحد كراسي الشاطئ وهي شبه غافية، فاستيقظت مذعورة من بوق السيّارة، وعرفتِ المرأةَ الجالسةَ في المقعد الخلفيّ، فناولتْها بين الضحك والهَذَر باقة الزنابق التي طلبتْها خصّيصًا لها. وبعد مسافة قصيرة نحو الأمام، انعطفت السيّارة ودخلت في دربٍ يكاد أن يكون غير صالح للمرور، ويتسلّق جروفًا صخريّة حادّة. فبدا من خلال الجوّ الذي غشّاه الحرّ بالسراب، بحر الكاريبيّ ممتدًّا على المدى، وبانت يخوت اللهو مصطفّةً على رصيف المرفأ السياحيّ، وكذلك عبّارة الساعة الرابعة وهي تعود إلى المدينة. وعلى رأس التلّة، بدت المقبرة البائسة أمامها، فدفعت بوّابتَها الصدئة من دون عناء، وسارت وهي تحمل باقة الأزهار على الدرب المحفوف بالأضرحة التي غطّتْها شجيرات البرّ. كان في وسط المقبرة شجرة سيبا ذات أغصانٍ باسقة، استعانت

بها كي تتعرّف على قبر أمّها. آلمتْها الأحجار المدبّبة، من خلال نعلها الكاوتشوكيّ الذي سخنَ بفعل الحرارة؛ ونفذت الشمس الحارقة إلى رأسها من خلال أطلس المظلّة. وفجأة، خرجت إحدى السحالي من بين الأشواك، فتسمّرت أمامها بثبات وحملقت إليها لحظةً، ثمّ استدارت وولّت هاربةً.

ارتدت قفّازًا من القفّازات التي تُستعمل في أعمال الحدائق، كانت تحمله في حقيبتها، فتعيّن عليها أن تنظّف ثلاثة قبور لتتمكّن من التعرّف إلى الشاهدة الرخاميّة المصفرّة التي تحمل اسم أمّها وتاريخ وفاتها منذ ثمانية أعوام.

كانت تقوم بتلك الرحلة في السادس عشر من شهر آب من كلّ عام، في الساعة نفسها، مستقلّة سيّارة التاكسي نفسها، مارّة ببائعة الأزهار نفسها، وصولًا إلى المقبرة البائسةِ نفسها تحت الشمس الحارقة، وذلك لتضع باقة من الزنابق الطريّة على قبر أمّها. وبعد أن تُنهي مهمّتها لا يعود لديها ما تفعله حتّى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي، موعد انطلاق العبّارة الأولى في رحلة الرجوع.

كان اسمها آنا مجدلينا باخ، وقد مضت ستٌّ وأربعون سنة على ولادتها، وسبعٌ وعشرون سنة على زواجها الناجح من رجلٍ يحبُّها وتحبّه، كانت قد تزوّجتْه من دون أن تُنهي دراستها الجامعيّة في الفنون والآداب، وهي لا تزال عذراء، لا تعرف خطيبًا قبله.

كانت أمّها معلّمةً للصفوف الابتدائيّة، شهيرةً، تتّبع منهج مونتيسوري في التربية والتعليم، وحتّى الرمق الأخير من حياتها لم ترغبْ -على الرغم من مزاياها العظيمة- في أن تمتهن أيّ مهنة أخرى. ورثت آنا مجدلينا عن أمّها سحر عينيْها العسليّتَيْن، وفضيلة قلّة الكلام، وذكاءها في التحكّم بمزاجها وأهوائها. كانوا عائلة من الموسيقيّين، فوالدها كان معلّمًا للعزف على آلة البيانو ومديرًا لكونسرفاتوار مدينته طوال أربعين عامًا. وكذلك زوجها، فقد كان ابنًا لأبوين موسيقيّين، وقائدًا للأوركسترا، حلّ على رأس الفرقة بعد رحيل معلّمه. كان لديهما ابن أنموذجيّ، أصبح عازفَ التشيلّو الأوّل في الأوركسترا السمفونيّة الوطنيّة، وهو في الثانية والعشرين من العمر، وذات مرّة صفّق له المعلّم مَستيسلاف ليوبولدوفيتش روستروبوفيتش في إحدى الجلسات الخاصّة، إعجابًا به. أمّا ابنتهما ذات الثمانية عشر ربيعًا، فكانت تتمتّع بموهبة تكاد أن تكون عجيبة، تتيح لها تعلّم أيّ آلة موسيقيّة سماعيًّا، إلّا أنّها لم تكن تحبّ الموسيقى إلّا ذريعةً من أجل قضاء الليل خارج المنزل، إذ كانت تعيش مغامرة عاطفيّة سعيدة مع عازف ترومبيت ماهر، عضوٍ في إحدى فرق الجاز، لكنّها ترغب أيضًا في أن تنذر نفسها لحياة الرهبنة لدى **الأخوات الكرمليّات الحافيات**، خلافًا لرغبة أبويها.

لم تكن الأم قد أعلنت عن رغبتها في أن تُدفَنَ في الجزيرة

إلّا قبل ثلاثة أيّام من وفاتها، ويوم ماتت أرادت آنا مجدلينا أن ترافقَها من أجل دفنها، لكنّ أحدًا لم يرَ في ذلك الفعل شيئًا من الحكمة لأنّها هي نفسُها لم تصدّقْ أن تنجو من الحزن الشديد الذي أصابها. وفي الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الأمّ اصطحبها والدها إلى الجزيرة كي يضعا الشاهدة الرخاميّة على القبر، فقد كانا يعتبرانها دَينًا في ذمّتهما. أُصيبت آنا مجدلينا بالخوف أثناء الرحلة التي قامت بها مع والدها على متن مركب صغير، رُكِّب محرّكُه على الحافّة، ودامت قرابة أربع ساعات، لم يهدأ البحر خلالها لحظة واحدة. أعجَبتها الشواطئ الذهبيّة الرمال، الملاصقة للغابة العذراء، كما أعجَبَها صخب الطيور المدوّي ومشهد طيور مالك الحزين وهي تحلّق كالأشباح فوق مياه البحيرة الداخليّة، الوادعة. لكنّها اغتمّت لبؤس القرية، حيث أنّها اضطُرّت هي ووالدُها إلى المبيت ليلًا في العراء، وكلٌّ منهما في أرجوحة معلّقة بين شجرتين من أشجار جوز الهند، مع أنّ القرية أنجبت شاعرة معروفة وعضوًا في مجلس الشيوخ، كان خطيبًا مفوّهًا وأوشك أن يصبح رئيسًا للجمهوريّة. حزنت أيضًا لكثرة صيّادي السمك السود الذين بُتِرَت أذرعُهم نتيجة انفجار أصابع الديناميت بين أيديهم. ومع ذلك كلّه، فقد تفَهّمت رغبة أمّها حينما رأت روعة المشهد من أعلى المقبرة، فهو المكان المقفر، الوحيد، الذي لا يمكن لها أن تشعر فيه بالوحدة. وحينذاك قرّرت

آنا مجدلينا باخ أن تترك أمّها هناك حيث كانت، على أن تأتيَها كلّ عام حاملة باقة من الزنابق الطريّة لتضعها على القبر.

كان شهرُ آب شهر الحرّ والعواصف المطريّة المجنونة، المباغتة، لكنّها اعتبرت زيارة قبر أمّها كفّارة إضافيّة من الكفّارات التي يتعيّن عليها أن تؤدّيها في موعدها حتمًا، وأن تقوم بها بمفردها دائمًا. ولم تلِنْ في موقفها هذا إلّا حيال إلحاح ولدَيْها في التعرّف على قبر الجدّة، فاقتصّت الطبيعة منهم بأن جعلت رحلتهم البحريّة تلك، مرعبة. فرغم الأمطار، أبحر بهم المركب الصغير مسرعًا كي لا يهبط الليل عليهم وهم في الطريق على الماء، فوصل الولدان إلى الجزيرة مرعوبَين وقد أعياهما دوار البحر. إلّا أنّه كان من حسن حظّ الجميع أنّهم تمكّنوا هذه المرّة من المبيت في الفندق السياحيّ الأوّل الذي شُيِّدَ في القرية، وكان قد بناه عضو مجلس الشيوخ بالمال العام وسمّاه باسمه الشخصيّ.

كانت آنا مجدلينا قد شَهِدَت، عامًا بعد عامٍ، تنامي المباني الزجاجيّة الشاهقة وهي تزداد عددًا، فيما القَرية تزداد فقرًا. كما شَهِدَت أيضًا استبدال العبّارة بالمراكب الصغيرة، ذات المحرّكات. ما انفكّت الرحلة على متن العبّارة تستغرق أربع ساعات أيضًا، إنّما في جوّ مكيّف بالأجهزة الحديثة، وعلى أنغام فرقة موسيقيّة، وبحضور بائعات الهوى. طال التبدّل كلّ شيء إلّا

آنا مجدلينا، فقد حافظت على روتينها بأن ظلّت أكثر زوّار القرية مواظبة ودقّة في المواعيد.

عادت إلى الفندق، فاستلقت على السرير شبه عارية، لا يَستر عريَها شيء سوى البكيني المطرَّز، وفتحت الكتاب عند الصفحة المعلّمة بالقطّاعة العاجيّة، واستأنفت القراءة وهي تحت مروحة السقف التي كاد أثرها أن يكون معدوما. كان الكتاب الذي بين يديها رواية **دراكولا** لمؤلّفها برام ستوكر؛ وكانت قد أنهت نصفه الأوّل في العبّارة بشغف من يقرأ عملاً من الأعمال العظيمة. سرقها النعاس فغفت والكتاب على صدرها، لكنّها أفاقت بعد ساعتين لتجد نفسها في الظلام، تتصبّب عرقًا وتتضوّر جوعًا.

كان بار الفندق يظلّ مفتوح الأبواب حتّى العاشرة ليلًا، وقد نزلت إليه عدّة مرّات فيما مضى لتتناول بعض الطعام قبل النوم. لاحظت هذه المرّة أنّ عدد الزبائن أكثر من المعتاد في مثل هذه الساعة، وبدا لها أن النادل ليس نفسه الذي كان من قبل. وتوخّيًا للسهولة فقد طلبت سندويشة الجامبون والجبن نفسها التي كانت تطلبها في السنوات السابقة، إضافة إلى بعض الخبز المحمّص وفنجان قهوة بالحليب. وريثما يُؤْتى لها بطلبها، راحت تتأمّل الوجوهَ من حولها، فأدركت أنّها محاطةٌ بالسيّاح أنفسهم الذين كانوا زبائن الفندق حين لم يكن في القرية غيره، وقد كبروا بالسنّ. كانت هناك صبيّةٌ خلاسيّةٌ تغنّي أغاني البوليرو

الحزينة، يرافقها بالعزف أغسطين روميرو ذاته، وقد صار عجوزًا أعمى، وطفق يعزف بكلّ الحبّ على البيانو العتيق نفسه الذي عزف عليه في حفل افتتاح الفندق.

تناولت طعامَها على عجل وهي تُحاول أن تتغلّب على إحساسها بالحرج لكونها وحيدةً، لكنّها أحسّت بالارتياح للموسيقى، فقد كانت ناعمةً، هادئةً، وكان أداء المغنّية حسنًا. ولمّا انتهت من تناول الطعام، لم يكن قد تبقّى حولها غيرُ ثلاثة أزواج على طاولاتٍ متفرّقة، ورجلٍ ذي مظهر متميّز، كان مقابلها تمامًا، لكنّها لم ترَه حينما دخل. كان يرتدي ملابسَ من الكتّان الأبيض، وشعرُه رماديٌّ برّاق؛ وأمامه على الطاولة زجاجة براندي، وكأس نصفُها مليئة، ويبدو كأنّه وحيد في هذا العالم.

شرع الموسيقيّ يعزف على البيانو مقطوعة ***ضوء القمر*** لديبوسي، في توزيع لا يخلو من المجازفة كي يلائم أسلوب البوليرو، وقد غنّته الصبيّة الخلاسيّة بكلّ أحاسيس الحبّ. تحرّكت مشاعر آنا مجدلينا، فطلبت كأسًا من الجنّ الممزوج بالثلج والصودا، وهو المشروب الكحوليُّ الوحيد الذي تتناوله من دون أن يزعجَها. تبدّل العالم في عينيْها منذ الرشفة الأولى، فأحسّت بالنشاط والبهجة والرغبة بالمغامرة، ورأت نفسَها تزداد جمالًا بفضل المزيج السحريّ بين الكحول والموسيقى. كانت تظنّ أنّ الرجلَ الجالس إلى الطاولة المقابلة لها لم ينظرْ إليها،

لكنّها باغتته وهو يتطلّع إليها حين نظرت إليه للمرّة الثانية بعد الرشفة الأولى من كأس الجنّ. احمرَّ وجهه خجلًا. أمّا هي فقد ثبّتت نظرها نحوه، فرأتْه ينظر إلى ساعة جيْبه، فيدسُّها فيه على عجل، ثمّ رأتْه ينظر نحو الباب ويصبّ كأسًا أخرى من زجاجته، وقد أصابه الارتباك لأنّه يعرف أنّها تنظر إليه بلا هوادة. وحينذاك نظر هو إليها نظرةً مباشرةً، فابتسمت له من دون تحفّظ، حتّى إنّه حيّاها بأنْ حنى رأسَه لها قليلًا.

- هل لي أن أدعوكِ إلى تناول كأسٍ معي؟ سألَها.

- بكلّ سرور، قالت.

انتقلَ إلى طاولتها وسكبَ لها، بمنتهى الأناقة، في كأسها جرعةً من زجاجته.

- صحّة، قال.

دبّت الحماسة في نفس آنا مجدلينا، وتجرّع كلٌّ منهما كأسَهَ دفعةً واحدةً، إلّا أنّه غصّ بالشراب وسعل سعالًا شديدًا، ارتجفت منه أوصالُه، وفاضت عيناه بالدموع. ساد بينهما صمت طويل إلى أن نشّف دموعَه بمنديل معطّر برائحة الخزامى، واستردّ صوتَه. فتجرّأت على سؤاله إنْ كان ينتظر أحدًا ما.

- لا، قال؛ كنتُ أنتظر أحدهم لقضيّة مهمّة، لكنّ الأمر لم يتمّ.

فسألتْه باحتراز وعلى وجهها شيءٌ من ملامح الشكّ والريبة:

- لقاء عمل؟

أجابها:

- لم آتِ إلى هذا المكان من أجل أيّ شيء آخر.

إلّا أنّه قال ذلك بلهجة الرجل الذي لا يريد لها أن تصدّقه. فجاملتْه وأنهتِ الموضوع بأن ردّت عليه مثل امرأة شديدة السوقيّة، غريبة عن طبيعتها تمامًا، إنّما بحذر:

- قد يتمّ اللقاء في منزلك.

وهكذا ما انفكّت تلاطفه برقّتها وكياستها، حتّى أوقعتْه في شرك الأحاديث العاديّة، المسلّية. حاولت أن تحزرَ عمرَه، فأخطأت بسنة واحدة زيادةً: ستّ وأربعون. جرّبت أن تعرف موطنَه الأصليّ من لهجته، لكنّها لم تُصِبْ إلّا في المحاولة الثالثة: أميركيّ من أصول لاتينيّة. ثمّ جرّبت أيضًا أن تحزر مهنتَه، فسارع هو عند المحاولة الثانية وأخبرها أنّه مهندس مدنيّ، لكنّها اشتبهت في أن يكون ما قاله حيلةً ليحجب عنها الحقيقة.

تحدّثا عن الجرأة في تقديم مقطوعة ديبوسي الموسيقيّة الكلاسيكيّة بقالبٍ من قوالب البوليرو الشعبيّة، وبدا أنّه لم يلحظْ أيّ شيء من ذلك. لكنّه أدرك وبلا ريب أنّها خبيرة في الموسيقى، وأنّ معرفته هو لا تتجاوز حدود ***الدانوب الأزرق***. أخبرتْه أنّها تقرأ رواية **دراكولا** لمؤلّفها ستوكر، فقال لها إنّه قرأها حينما كان في المدرسة، وإنّه لا يزال مندهشًا من واقعة هبوط الكونت في لندن وقد تحوّل إلى كلب. وافقتْه في ما ذهب إليه،

وأبدت استغرابها من أن يعدّل المخرج فرانسيس فورد كوبولا تلك الواقعة في فيلمه الخالد. ومع الرشفة الثانية أحسّت بأنّ البراندي التقى بالجنّ في مكانٍ ما من أعماقها، فصار عليها أن تستجمع قواها كيْ لا تسكر. كفّت الفرقة الموسيقية عن العزف عند الحادية عشرة، ولم يعد أفرادها ينتظرون شيئًا سوى أن يغادرا حتّى يُغلِقَ البار أبوابه.

وفي تلك اللحظة صارت تعرفه كما لو أنّها عاشت معه منذ الأزل. وصارت تعرف أنّه رجل نظيف، لا تشوب أناقة ملبسه شائبة، وأنّ له يدَين صامتتَيْن، يزيد من صمتهما بريقُ أظافره الطبيعيّ، وأنّه طيّب السريرة وغير مِقدام. أدركت أنّه أصيبَ بالارتباك من عينيْها النجلاوين، العسليّتيْن، فلم تزِحْهما عنه. وأحسّت بقوّتها كي تُقْدم على الخطوة التي لم تخطرْ في بالها طوال حياتها، ولا حتى في الأحلام، فباغتتْه قائلةً بلا مواربة:

- هل نصعد؟

تزعزع كيان الرجل.

- أنا لا أقيم في الفندق، قال.

إلّا أنّها لم تنتظرْه حتّى يفرغ من كلامه.

- أنا أقيم في الفندق، قالت ثمّ نهضت وهزّت رأسَها هزًّا خفيفًا لتسيطرَ على تأثير الكحول عليها. الطابق الثاني، الغرفة 203، على يمين الدرج. لا تطرق الباب، بل ادفعْه دفعًا وحسب.

صعدت إلى الغرفة وهي تحسّ بذلك الرّوْع المُستطاب الذي لم تَعُد تحسّ به منذ ليلة عرسها. أدارت مروحة السقف، لكنّها لم تشعل الضوء. خلعت ملابسها في العتمة وهي تمشي، وتركتْها تتناثر على الأرض من باب الغرفة إلى الحمّام. حتّى إذا أشعلت مصباح المغسلة، تَعيّن عليها أن تُغمض عينيْها وأن تتنشّق الهواء بعمق كي تنتظم أنفاسُها ويهدأ ارتعاش يديها. غسلت ما بين ساقيها على عجل، ونظّفت إبطيْها وأصابع قدميْها التي تورّمت بفعل كاوتشوك الحذاء؛ فعلى الرغم من تعرّقها الشديد بعد الظُّهر، لم تفكّرْ في الاستحمام حتّى يوم الغد. لم يسعفْها الوقتُ لتنظّف أسنانها، فوضعت على لسانها قليلًا من المعجون ثمّ عادت إلى الغرفة التي كادت أن تبدو معتمة، لولا النور الموارب الذي تسلَّل من الحمّام.

لم تنتظرْ أن يدفع ضيفُها الباب، بل فتحتْه من الداخل حين أحسّت بقدومه. ففوجئ بما فعلتْه، لكنّها لم تمنحْه مزيدًا من الوقت في الظلمة، إذ خلعت عنه سترته بعنف، وجرّدتْه من ربطة عنقه وقميصه، ورمت تلك القطع واحدة تلو الأخرى من فوق كتفها لتستقرَّ على الأرض. وبمقدار ما كانت تخلع عنه ملابسه، كان الهواء يتضمّخ برائحة خفيفة من عطر الخزامى. حاول الرجل أن يساعدها في البداية، لكنّها لم تمنحْه الوقت لفعل ذلك. ولمّا صار أمامها عاريًا حتّى الحزام، أجلستْه على السرير، ثمّ جثت

على ركبتيْها لتنزع حذاءه وجوربَيْه. وفي هذه الأثناء فكّ هو إبزيم حزامه وأزرار فتحة بنطاله، فلم تتكلّفْ هي غير شدّ البنطال لتنزعه عنه. لم يأبه أيٌّ منهما بالمفاتيح والأوراق النقديّة والفكّة المعدنيّة والموسى الكبّاس التي تدحرجت جميعها على الأرض. وأخيرًا ساعدتْه على خلع سرواله الداخليّ بأن سحبتْه على طول ساقيْه، فاكتشفت أنّه أقلّ حظًّا ونصيبًا من زوجها -وهو الرجل الوحيد الذي رأتْه عاريًا في حياتها- لكنّه تبيّن لها أيضًا أنّه كان متحفّزًا، مرفوعَ الراية.

لم تتركْ له الفرصة كي يبادر إلى فعل أيّ شيء، إذ امتطتْه بشهوة جامحة، والتهمتْه التهامًا، منفردةً بمتعتها من دون أن تحسب له أيّ حساب، حتّى أُصِيبَ كلاهما بالاضطراب والإنهاك وغرقا في مستنقعٍ من العرق. ظلّت فوقه وهي تصارع بوادر وخز ضميرها، تحتَ هدير المروحة الخانق، حتّى أدركت أنّ أنفاسه ضاقتْ، وفتح ذراعيْه وصار مثل الصليب تحت تأثير ثقل جسمها، فاستلقت على ظهرها إلى جانبه. أمّا هو فقد ظلّ جامدًا بلا حَراك، إلى أن التقط أوّل أنفاسه ليسألها:

- وَلِمَ اخترتني أنا؟

- كان ذلك إلهامًا، قالت.

- أن تقول هذا امرأة مثلك، فهو شرفٌ لي، قال.

قالت مازحة:

- آه، شرفٌ إذًا وليس متعة؟

لم يُجِبْها بشيء، وبقيا مضطجعَيْن وكلٌّ منهما مشدود إلى هدير أعماقه. وبدتِ الغرفة رائعة في شبه العتمة الخضراء التي تظلّل البحيرة، وسُمِعَ رفيفُ أجنحةٍ آتٍ من الخارج فسألها:

- ما هذا؟

حدّثْته عن عادات مالك الحزين في سواد الليل وعتمته. وبعد ساعة طويلة من وشوشات الغرام العاديّة، بدأت تداعب جسمَه بأصابعها على مهلٍ، من صدره حتّى أسفل بطنه، ثمّ أخذت تتحسّس ساقيْه الطويلتَيْن بقدميْها، فتبيّن لها أنّه مكسوّ بأكمله بشعر كثيف، ناعم، كطحالب شهر نيسان. بعد ذلك عادت لتبحث بأصابعها عن ذَكَرِهِ المسترخي، فوجدتْه نائمًا، لكنّه كان حاميًا. سهّل الرجل الأمر عليها بأن عدّل من وضعيّة استلقائه، فأمسكت ذكره برؤوس أصابعها وتلمّست حجمَه وشكلَه، فَلِجامَ غُرْلَتِهِ الجامح، ثمّ حَشَفَتَهُ الحريريّة، الناعمة، المنتهية بطيّة بدت وكأنّها خِيطَت بالمسلّة. عدّت القطب وهي تتلمّسُها بإصبعها، فبادر هو على الفور وأوضح لها ما تخيّلَتْهُ:

- لقد خُتِنْتُ بعد بلوغي سنّ الرشد. ثمّ أضاف متنهّدًا: كانت متعةً شديدة الغرابة.

قالت بلا رأفة:

- هكذا إذًا، متعة وليس شرفًا.

وسارعت إلى التخفيف عنه فورًا بقُبَل حانية طبعتْها على أذنه وعنقه، فمال عليها بشفتَيْه وتبادلا القبل بالفم للمرّة الأولى. عادت وتلمّست أسفل بطنه، فوجدت أنّه صار على أهبة الاستعداد. أرادت أن تنقضّ عليه، لكنّه فاجأها وأثبت لها أنّه عشيق لا مثيل له، إذ رفعها على مهلٍ إلى أعلى درجات الهياج. فُوجئت بأن تكون يدان باردتان مثل يديه قادرتيْن على منح كلّ هذا الحنان، فحاولت أن تتمنّع بغنج ودلال؛ إلّا أنّه فرض سيطرته عليها بحزم، وتحكّم بها على مزاجِه وهواه، فأدخل السعادةَ إلى قلبها وغمرها بالسرور.

كانت الساعة تشير إلى الثانية حينما رجّ الرعد أركان البناء، وخلعت الريح مزلاجَ النافذة. سارعت إلى إغلاقها، فرأت ماءَ البحيْرة يتموّج هائجًا في النور الخاطف الذي أحدثه البرق ثانيةً، وكان مثل نور الظهيرة؛ ومن خلال المطر رأت القمر هائلًا في الأفق، ورأت طيور مالك الحزين الزرقاء تخفق بأجنحتها، مقطوعة الأنفاس، في سماء العاصفة. أمّا هو فقد كان مستسلمًا للنوم.

وفي طريق عودتها إلى السرير تعثّرت قدماها بثيابهما، فتركت ثيابها على الأرض حتّى تلمَّها فيما بعد، وعلّقت سترته على الكرسيّ، ووضعت فوقها قميصَه وربطة العنق، ثمّ طوت البنطال بعناية كي لا يتجعّد كيُّه، ورتّبت فوقه المفاتيحَ والموسى الكبّاس

والنقود. بَرَد هواء الغرفة بسبب العاصفة، فارتدت قميص نومها الورديَّ المصنوعَ من الحرير الصافي، واقشعرّ جسمها من تماسّه به. بدا لها الرجل، وقد نام على جنبه ملموم الساقين، كأنّه يتيمٌ كبير، فلم تستطعْ أن تكبح جماح حنوّها عليه. استلقت خلفه، ولفّت خصرَه بذراعها، فأيقظه لهيبُ جسمها السابح بالعرق. أطلق لهاثًا حادًّا ثمّ ابتعد عنها وهو غافٍ. أمّا هي فلم تكدْ تغفو حتّى أفاقت حينما كفّت مروحة السقف الكهربائية عن الدوران لانقطاع التيّار، وغرقتِ الغرفة في شبه ظلمتها الحارقة. وحينذاك كان هو يَشخِّر ويَصفِّر صفيرًا منتظمًا. بدأت تمسّ جسمه برؤوس أصابعها لمجرّد اللهو والشيطنة، فكفّ عن الشخير وانتفض فجأةً فزعًا، وبدأ النشاط يدبّ فيه. ابتعدت عنه لحظةً وخلعت قميص نومها بعنفٍ، لكنّها عندما عادت إليه لم تُجْدِها ألاعيبها نفعًا؛ فقد أدركت أنّه يتظاهر بالنومِ كيْ لا يلبّي رغبتها في المرّة الثالثة. وهكذا عادت وارتدت قميصَ نومها ونامت وهي تدير ظهرَها له.

وجريًا على عادتها اليوميّة استيقظت في الساعة السادسة. ظلّت راقدة في السرير لحظة، وهي شاردة الذهن وعيناها مغمضتان، تكاد لا تصدّق طَرْقَ الألم في صدغيْها، ولا الغثيان الجليديّ الذي جمّد أوصالها، ولا الاضطراب الذي تحسّ به خوفًا من أمر مجهول ينتظرها حتمًا في حياتها الفعليّة. تنبّهت إلى هدير المروحة، فأدركت أنّ العتمة انقشعت من مخدعها

إذ استنار بنور الفجر الأزرق الطالع على البحيرة. وكمن يصعقه الموت، انصعقت فجأة لإدراكها المباغت أنّها ارتكبت إثمًا ونامت للمرّة الأولى في حياتها مع رجلٍ غير زوجها. فالتفتت من فوق كتفها وهي خائفة، كي تُلقي نظرةً عليه، لكنّها لم تجدْه. كما أنّها لم تَجدْه في الحمّام. أشعلت مصابيح الغرفة كلّها، فتبيّن لها أنّ ثيابَه اختفتْ، أمّا ثيابُها التي كانت قد بعثرتْها على الأرض من قبل، فمطويّةٌ بعناية وتكاد تكون مرتّبة على الكرسيّ بكلّ الحبّ. ولم تنتبه إلّا في تلك اللحظة إلى أنّها لا تعرف عنّه أيّ شيء، ولا تعرف حتّى اسمَه، وأنّ كلَّ ما تبقّى لها من تلك الليلة المجنونة ليس غيرَ ضوعٍ حزينٍ من عطر الخزامى، يطفو في الهواء الذي نقّت ثناياه العاصفة. ولم تنتبهْ أيضًا إلى ما تركه لها في الكتاب المرميّ على كومودينة السرير إلّا حينما تناولتْه كي تضعَه في الحقيبة، فوجدت فيه بين صفحات الرعب، ورقةً نقديّة من فئة العشرين دولارًا.

2

لن تعودَ أبدًا مثلما كانت من قبل. حتّى إنّها استشفّت ذلك بنفسها في رحلة العودة وهي على متن العبّارة، حيث كانت بين أفواج السيّاح الذين لطالما بدوا لها غرباء عنها، وفجأة ومن دون أسباب بيّنة صارت تحسّ بفظاعتهم. كانت من المثابرين على المطالعة دائمًا. وحينما لم يكن يفصلها سوى القليل عن إنهاء دراستها في الفنون والآداب، كانت قد قرأت بتمعّن واهتمام شديدين كلّ الكتب التي كان لا بدّ من قراءتها، ثمّ ظلّت تقرأ ما يستهويها أكثر من غيره: روايات الحبّ التي ألّفها كُتّابٌ مشاهير، ويا حبّذا لو تطول أكثر وتحفل بالمزيد من الشقاء. واظبت بضع سنوات على قراءة الروايات القصيرة من شتّى الأصناف مثل **حياة** ***لَثرِيّو دي تورمِس والشيخ والبحر والغريب***. كانت تكره روايات الموضة الدارجة، وتعلم أنّ وقتها لا يسمح لها بالاطلاع على كلّ ما يصدر منها يوميًّا. وفي السنوات الأخيرة غرقت حتّى القاع في روايات الخوارق. لكنّها في ذلك اليوم تمدّدت في الشمس على سطح العبّارة ولم تتمكّنْ من أن تقرأ حرفًا واحدًا، ولا أن تفكّر في أيّ شيء غير ليلتها السابقة.

بانت أمام ناظريها مباني المرفأ التي كانت تألفها وتألف رشاقتها أيّما ألفة منذ الصغر، فبدت لها في تلك اللحظة غريبةً عنها، متآكلةً بفعل ملوحة جوّ البحر. وعند الرصيف استقلّت حافلة عموميّة متهالكة، كحافلات أيّام مدرستها، تلك التي كانت تكتظّ بالركّاب الفقراء ويعلو فيها صوت المذياع كما في الكرنفالات، لكنّ حافلة تلك الظهيرة الخانقة بدت لها أكثر إزعاجًا من أيّ وقت مضى، إذ أحسّت بالضيق لأوّل مرّة في حياتها من مزاج ركّابها المتعكّر ومن روائحهم الكريهة، الشبيهة بروائح الإصطبلات. أمّا دكاكين السوق الشعبيّة الصاخبة التي كانت تستلطفها منذ طفولتها أيّما استلطاف، ومرّت فيها منذ أقل من أسبوع بصحبة ابنتها، وتسوّقت منها بلا انزعاج، فقد أصابتْها بالارتعاش ذعرًا، وكأنّها في شوارع كَلْكُتا حيث تلجأ أفواج عمال النظافة عند الفجر إلى ضرب الأجساد الممدّدة على الأرصفة بالعصيّ، كي يُعرَفَ النائمون من الأموات. وعند دوّار الاستقلال رأت نصب **الفارس المحرّر** الذي دُشّنَ منذ ثلاثين عامًا، لكنّها لم تلحظْ إلّا في ذلك اليوم أنّ فرسه يشبُّ في الفضاء، وأنّه يشهر سيفَه نحو السماء.

ولمّا دخلتِ المنزل، توجّهت إلى فيلومينا وسألتْها مذعورة عن الكارثة التي حلّت فيه بغيابها، إذ لاحظت أنّ الطيور لم تَعُدْ تُغرِّد في أقفاصها، وأنّ أُصُصَ الأزهار الأمازونيّة، والسراخس

المدلّاة، والعرائش المتسلّقة ذات الأزهار الزرقاء اختفت عن التِرّاس الداخليّ. ذكّرتْها فيلومينا، خادمتها الأبديّة، أنّها أخرجتْها إلى الفناء كي تنال حصّتها من ماء المطر، مثلما طلبت هي منها قبل ذهابها. مع ذلك فقد استغرقت آنا مجدلينا عدّة أيّام كي تدرك أنّ التبدّلات التي تتراءى لها لم تكن في العالم المحيط بها، إنّما فيها هي ذاتها، فقد اعتادت أن تمضي في الحياة دائما من دون أن تأبه بها، ولم تبدأ بالنظر إليها بعين المُعتبر إلّا في ذلك العام، لدى عودتها من الجزيرة.

وحتّى لو لم تكنْ على دراية بأسباب تبدّلها، فقد كان لورقة العشرين دولارًا التي تحتفظ بها في الصفحة السادسة عشرة بعد المائة من كتابها، دورٌ فيها. كابدت الأمر بإحساس من المذلّة لا يُطاق، من دون أن تنعم بلحظة واحدة من الطمأنينة. وبكت قهرًا لإخفاقها في معرفة هويّة ذلك الرجل الذي تمنّت أن تقتله لأنّه أفسد عليها ذكرى مغامرة سعيدة. وأثناء عبورها البحر أحسّت بالرضا عن نفسها لِما قامت به مع ذلك الرجل من فعلٍ خالٍ من المشاعر الحقيقيّة، اعتبرتْه في أعماقها أمرًا ذا صلةٍ وثيقة بعلاقتها بزوجها، لكنّها لم تتمكّنْ من التغلّب على غيظها من ورقة العشرين دولارًا، إذ كانت تحسّ باضطرام لهيبها كجمرة تتّقد في أحشائها أكثر ممّا في محفظة نقودها. ولم تكنْ تعرف إنْ كان عليها أنْ تحتفظ بها للذكرى أو أنْ تمزّقها كي تتخلّص

من الخزي الذي لحق بها من جرّائها. مع ذلك فقد بدا لها أنّ أيّ شيء قد يليق بها إلّا إنفاقها.

وخُتِمَ نهارها بخاتمة سيّئة لمّا أخبرتْها فيلومينا أنّ زوجها لم ينهض بعدُ من الفِراش، إذ كانت الساعة تشير إلى الثانية من بعد الظهر. لم تكنْ تذكر أنّ أمرًا كهذا حدث له من قبل ذات مرة، باستثناء أيّام السبت القليلة التي كانا يسهران فيها معًا حتّى الصباح، فلا يبارحان السرير طيلة يوم الأحد التالي. وجدتْه طريح الفراش، يعاني صداع الرأس. كان قد ترك الستائر مفتوحة، فأخذ ضوء الساعة الثانية بعد الظهر، يلمع في أرجاء غرفة النوم مبهرًا العيون. أسدلتْها وتأهّبت لتحيّته وملاطفته كي تبعث فيه بعض النشاط، لكنّ فكرة قاتمة مرّت في خاطرها وحالت دون ذلك، إذ طرحت عليه، من دون تبصّر تقريبًا، سؤالًا كانت تخشاه هي أكثر:

– هل لي أن أعرف أين أمضيتَ ليلة البارحة؟

نظر إليها مذهولًا، فهذا السؤال المألوف حتّى بين الأزواج السعداء، لم يسبقْ قطّ وأن سُمِعَ في منزله. ولذا فقد ردّ عليها بدوره، مازحًا أكثر من كونه قلقًا:

– أين أم مع مَن؟

احتدّت قليلًا وأجابته:

– ماذا تقصد بسؤالك؟

إلّا أنّه تجنّب تحدّيها وأخبرها أنّه أمضى ليلة رائعة بحضوره

حفلة جازٍ بصحبة ميكائيلا، ابنتهما. ثمّ غيّر الموضوع في الحال قائلًا:

- بالمناسبة، لم تخبريني كيف جرت الأمور في الجزيرة.

اعتقدت وهي تحسّ بالقلق أنّ سؤالها غير اللائق ربّما يكون قد حرّك الرماد الراكد في أعماقه، وأثار بعض شكوكه القديمة. فأرعبتْها الفكرة بحدّ ذاتها.

- جرت الأمور كما تجري عادة، قالتْ.

انقطعت الكهرباء في الفندق ليلًا، وفي الصباح انقطع الماء في الحمّام أيضًا، قالت كاذبة، ولذا فقد عادت من دون أن تستحمّ وعلى جسمها عرق يومين كاملين. ثمّ أخبرتْه أنّ البحر كان هادئًا وجوّه منعشًا، وأنّها تمكّنت من الإغفاء أثناء الرحلة، إغفاءً متقطّعًا.

هبّ من السرير وهو بسرواله الداخليّ مثلما ينام عادة، وذهب إلى الحمّام. كان ضخمًا، ذا بنية رياضيّة ووسامة لا تُخطئها العين. تبعتْه إلى الحمّام وما انفكّا يتحادثان وكلٌّ منهما في مكانه: هو واقف في قَمَرَة الدوش التي لفّها البخار، وهي جالسة على غطاء كرسيّ المرحاض، وذلك مثلما كانا يفعلان وهما عروسان. أخطأت آنا مجدلينا وعادت إلى الحديث عن ابنتهما التي لا تُروّض. كانت قد سُمّيَت ميكائيلا على اسم جدّتها المدفونة في الجزيرة، ولا تزال مصمّمة على أن تصبح راهبة، فيما تواصل

علاقتها الغراميّة مع عازف الجاز الماهر الذي يكبرها في السنّ قليلًا، ومعه تمضي الليل لاهية في الحانات حتّى مطلع الفجر. كانت أمّها لا تستوعب سلوكها وتسْتغربه، لكنّ استغرابها في ذلك المساء ازداد لظهور أبيها معها علنًا في حانة بائسة، يُحيي فيها موسيقيّون الحفلات ويتعاطون المخدّرات. بادرها الأب بطرفة مرحة:

- حذاريكِ أن تكوني قد أُصِبْتِ بالغيرة من ابنتنا.

لم يكن لِيُؤْسِفَها أن تقول له نعم لولا أنّها أدركت في اللحظة المناسبة أنّ الوقت غير ملائم لإفساد دردشة الغرام التي تدور بينهما. أمّا هو فقد بدأ يترنّم تحت الدوش بمطلع كونشرتو البيانو لغريغ فيما يبلّل جسمه بالصابون، وفجأة غيّر الموضوع.

- ألا تأتين؟

لم يكن لديها غير سبب واحد كي تبدي تردّدها، وكان سببًا ذا أهمّيّة كبيرة لامرأة كثيرة الوساوس مثلها.

- لم أستحمّ منذ يومين إنّ رائحتي مقزّزة، قالت.

- هذا سبب إضافيّ كي تأتي، فالماء منعش ولذيذ، قال.

خلعت عنها القميص الاستكلندي وبنطال الجينز والبكّيني، وهي الثياب التي عادت بها من الجزيرة، ثمّ رمتْها في سلّة الملابس المتّسخة ودخلت إلى القَمَرَةِ. أفسحَ لها مكانًا تحت

الدوش وبلّل جسمها بالصابون كالمعتاد، من رأسها حتّى أخمص قدميها، من دون أن يكفّ عن الدردشة.

لم يكن في الأمر أيّ جديد عليهما، فقد عرفا كيف يحافظان على بعض عادات العشّاق، ومنها الاستحمام معًا. في البداية كانا يستحمّان معًا لأنّهما يذهبان إلى العمل في الساعة نفسها، وبدلًا من الشجار الأبديّ على الدور في الاستحمام، تعلّما أن يستحمّا معًا. كان كلٌّ منهما يبلّل جسم الآخر بالصابون، ويفعل ذلك بكلّ الحبّ حتّى إنّ الأمر كان ينتهي بهما في مرّات كثيرة إلى أن يتمرّغا معًا في أرضيّة الحمّام، على بساط من الحرير اشترتْه هي خصّيصًا كي لا يتأذّى ظهرها من أفعال الحبّ الصاعقة.

وفي السنوات الثلاث الأولى من زواجهما لم يُخْلِفا قطّ موعدهما اليوميّ، إمّا في السرير ليلًا أو في الحمّام صباحًا، ما خلا الهُدَنَ المقدّسة في أيّام الدورة الشهريّة والنّفاس. ثمّ تنبّه كلٌّ منهما في اللحظة المناسبة إلى خطر الروتين، وقرّرا دونما اتّفاق مسبق بينهما أن يُضْفِيا على حبّهما مسوح المغامرة. فاعتادا لفترة من الزمن ارتياد الموتيلات التي يلتقي فيها العشاق بعيدًا عن المدينة، لقضاء الليل في الأنيقِ الفخم منها كما في الرثّ المتواضع، إلى أن أتت ليلةٌ هاجم فيها بعضُ اللصوص المسلّحين الموتيل الذي كانا فيه، وجرّدوهما حتّى من ملابسهما. كانت فكرة ذهابهما إلى أيّ من تلك الفنادق تأتيهما على حين غرّة كالإلهام

المباغت، فاعتادت هي أن تحمل دائمًا في حقيبتها واقيات ذكريّة تفاديًا للمفاجآت. وذات يوم اكتشفا مصادفة إحدى الماركات التي طُبِعَت دعايتُها على غلافها بالإنكليزيّة: **في المرّة المقبلة اشترِ ماركة لوتيسيان.** وهكذا كان أنْ دشّنا عهدًا من الحبّ دام طويلًا، كانت كلّ ليلة فيه تأتيهما بجائزة ليست أكثر من عبارة مُبهِجة، قد تكون طرفة غير محتشمة، مثلما قد تكون حكمة من حكم سينيكا.

وبسبب بانشغالهما بولديهما، وبتبدّل مواعيدهما، تخلّيا عن عادتهما، لكنّهما كانا يستأنفانها في كلّ مرّة تُتاح لهما الفرصة، وكان حبّهما يزخر بالسعادة دائمًا، بل وفيه مطرح للجنون. وحتّى في الأوقات غير الملائمة، كانا يتدبّران أمرهما كي يجدّدا حبّهما، إلى أن جرّبا كلّ شيءٍ ممكنٍ فيه، فاستنفداه وعادا إلى الروتين.

كان اسمه دومينيكو أماريس، وهو رجل في الرابعة والخمسين من العمر، خلوق، وسيمٌ، لطيفٌ، يعمل مديرًا لكونسرفاتوار مدينته منذ أكثر من عشرين عامًا. وإلى جانب مزاياه العظيمة معلّمًا، كان غاويًا في العزف ومُستطرِفًا في محاكاة الأعمال الموسيقيّة، قادرًا على إضفاء البهجة على أيّ حفلة، إذ يأخذ ألحانَ البوليرو التي ألّفها أوغسطين لارا، فيعزفها بأسلوب شوبان، أو يأخذ الرقصات الكوبيّة فيقدّمها بأسلوب رحمانينوف. وأيّام دراسته الجامعيّة كان متفوّقًا في الميادين جميعها: في الغناء

كما في السباحة والخطابة وكرة الطاولة. لم يكن أحد يُتقِن رواية النكات مثله، كما لم يكن أحد يعرف مثله الرقصات الغريبة مثل الكونترادانسا والتشارلستون والتانغو الأباتشي. وفضلًا عن ذلك فقد كان حاويًا جسورًا، ففي حفل عشاء كبير أُقيم في كونسرفاتوار المدينة أخرج من قِدْر الحساء دجاجة حيّة، ترفرف بجناحيها، وذلك حينما رفع عُمدَة المدينة الغطاء عنه ليأخذ حصّته منه. ولم يكن أحد يعلم أنّه يلعب الشطرنج حتّى الليلة التي تحدّاه فيها بول بادورا سكودا بعد حفلة موسيقيّة باهرة، فلعبا إحدى عشرة جولة متتالية، تعادلا فيها ودامت حتّى الساعة التاسعة صباحًا. كان صاحب مقالب رهيبة، لكنّ مسيرته في هذا المضمار أوشكت أن تنتهي بكارثة محقّقة حينما أقنع الأختين التوأمين غارسيّا بأن تتبادلا خطيبيهما، فكاد كلّ منهما أن يتزوّج الأخت التي لم تكن خطيبته فعلًا. وكان ذلك مقلبه الأخير، لأنّ أحدًا لم يغفر قطّ له فعلته، لا الخطيبان ولا أيٌّ من أفراد العائلتين. مع ذلك فإنّ آنا مجدلينا كانت قد تكيّفت معه وأصبحت تشبِهُهُ، فألِفا بعضهما ألفَةً عميقةً حتّى صارا في نهاية المطاف يبدوان معًا كيانًا واحدًا.

كان دومينيكو يحسّ بأنّه بلغ مبلغًا عظيمًا في معارفه الموسيقيَّة وكوّن أفكاره الخاصّة به في هذا المضمار. ولطالما ارتأى أنّ أعمال الموسيقيّين العظام لا تنفصل عن أقدارهم، واعتقد بأنّه توصّل إلى التحقّق من ذلك بدرسه المنهجيّ للموسيقى وحياة

أعلامها الكبار. فكان يرى أنّ أعظم أعمال برامس وأكثرها إلهامًا هو كونشرتو الكمان، لكنّه لا يستوعب كيف لم يكن هو أيضًا مؤلّف كونشرتو التشيلّو العظيم الذي ألّفه فعلًا دفوراك. كان قد هجر قيادة الأوركسترا، وكفّ عن سماع الموسيقى مُسَجّلَةً، وصار يفضّل قراءتها مُنَوَّتَةً على الورق، اللَّهُمَّ إلّا إذا رغب في تقييم تسجيلٍ نادرٍ جدًّا، ذلك أنّه كان يكتفي بوُرَشِ العمل التجريبيّة التي يُديرُها في كونسرفاتوار المدينة.

وبهذه المعايير الخاصّة، والتي قد يتعذّر إثبات صحّتها، كان يؤلّف كتابًا تعليميًّا من أجل طريقة جديدة، أكثر إنسانيّة في سماع الموسيقى، وكذلك من أجل إحساس متميّز في أدائها. كان قد قطع شوطًا كبيرًا في الفصول التي تعالج ثلاثة نماذج كبرى: موتسارت وشوبرت اللذان كانا يتميّزان بعبقريّة فذّة رغم قِصر حياة كلّ منهما وبؤسها؛ ثمّ شوسون الذي مات وهو في قمّة العطاء وقضى نَحْبَهُ في حادث عبثيّ على متن درّاجته الهوائيّة.

لم يكن يشغل بال العائلة فعلًا أيّ شيء سوى سلوك الابنة ميكائيلا، تلك المتمرّدة الفاتنة. ذلك أنّها ما برحت تصرّ على إقناع والديها بأنّ دخول المرأة سلك الرهبنة في هذه الأيّام ليس كما كان من قبل، كما أنّها كانت تُبدي لهما ثقتها بأنّ مطلع الألفيّة الثالثة سيشهد إلغاء نَذْر العِفّة أيضًا. وما كان غريبًا حقًّا هو أنّ الأمّ عارضت ميول الابنة لأسباب تختلف عن أسباب

الأب. فالأمر في نظره لم يكن ذا أهمّيّة لأنّ العائلة لا تفتقر إلى الموسيقيّين، فحتّى آنا مجدلينا نفسها حاولت أن تتعلّم ذات مرّة العزف على الترومبيت، لكنّها لم تفلحْ في مبتغاها. وفضلًا عن ذلك، فإن العائلة بأسرها أيضًا تجيد الغناء. أمّا في حالة الابنة فالمشكلة كانت أنّها اكتسبت عادة السهر طوال الليل وكانت سعيدة بها. وذات يوم تأزّم الوضع كثيرا في المنزل حينما اختفت هي وصديقها، عازف الترومبيت الخلاسيّ، وتواريا عن الأنظار طوال نهاية الأسبوع. لم يلجأ أحد إلى إبلاغ الشرطة بالواقعة لأنّه ما من صديق لهما في أوساط الشباب البوهيميّ إلّا وكان يعرف أين كانا، إذ قيل إنّهما ذهبا إلى الجزيرة. عاشت الأمّ رعبًا لم تعشْ مثله من قبل، ولمّا رجعت ميكائيلا، حاولت أن تهدّئ من روعها بأن أخبرتْها خبرًا غريبًا مفاده أنّها ذهبت إلى الجزيرة لتضع وردة على قبر جدّتها. لم يعرفْ أحد قط إن كانت تقول الحقيقة أم لا، كما أنّ الأمّ لم ترغبْ في التحقّق من ذلك. لكنّها أخبرتْها أنّه كان عليها أن تستشيرها قبل ذهابها لسبب بسيط تجهله الابنة، إذ قالت لها:

- ماما تكره الورد.

تفهَّم دومينيكو أماريس دوافع ابنته، لكنّه لم يشجبْ كلام زوجته بسبب انحيازه لها، وكما يحدث دائمًا في مثل هذه الحالة، ظلّ ضائعًا بين الاثنتين. ولحسن الحظّ أنّ ميكائيلا تخلّت عن

عادة سهر الليل لعدّة أشهر، ما خلا نهاية الأسبوع. فصارت غالبًا ما تتناول الطعام مع العائلة، وتمضي قرابة ثلاث ساعات يوميًا وهي تتحدّث بالهاتف، ثمّ تَلزَم غرفتها بعد العشاء لتشاهد الأفلام المتلفزة التي تملأ المنزل بصخبها وانفجاراتها، فتحوّل ليلَهُ إلى ليل طويل من الذعر. ووسط دهشة الوالدين، صارت تتحدّث في جلسات ما بعد العشاء عن الواقع الثقافيّ بأدلّة بيّنة ومعايير ناضجة. وفضلًا عن ذلك فقد علمت الأمّ بمصادفة سعيدة أنّ محادثات ابنتها الهاتفيّة التي لا تنتهي لم تكن مع عشيقها، عازف الجاز، بل مع معلّمة من رهبانيّة **الأخوات الكرمليّات الحافيات**، تُعلّم رسميًّا أصول الدين، فأبدت سرورها بذلك، إذ اعتبرتْه أهون الشرّين.

وهكذا كانت الأحوال حينما أعربت آنا مجدلينا ذات مساء على العشاء عن خوفها من أن تعود ابنتها من إحدى سهراتها في نهاية الأسبوع حُبْلى، فأرادت ميكائيلا طمأنتها بأن زفّت لها خبرًا ظنّته سعيدًا، ومفاده أنّ طبيبًا من أصدقائها ركّب لها منذ أن كان عمرها خمسة عشر عامًا لولبًا مانعًا للحبل. لم تكنِ الأمّ قد تجاسرت في حياتها على استعمال أيّ وسيلة من وسائل منع الحبل باستثناء الواقيات الذكريّة المعروفة، فخرجت عن طورها وصرخت في وجه ابنتها عن كثب:

- قحبة!

ظلّ الصمت الذي أعقب الصرخة مخيّمًا بظلّه الثقيل على أجواء المنزل عدّة أيّام. وبكت آنا مجدلينا طويلًا وهي حبيسة في غرفتها، خجلًا من تهوّرها حيال ابنتها أكثر منه حقدًا عليها. أمّا الزوج فقد تصرّف أثناء بكائها كما لو أنّه غير موجود، إذ كان يعلم حينذاك أنّ دوافعها إلى ذرف الدموع تكمن في أعماق ذاتها، رغم جهله بحقيقة الأسباب.

أثار قلقُ الزوج الخوفَ في نفسها، وازداد خوفُها حدّة ممّا بدا لها سلوكًا جديدًا للرجال حيالها. فلطالما تعرّضت سابقًا للمضايقات، لكنّها كانت لا تُبالي بها، بل وتنساها بلا أسف. أمّا في تلك السنة، لدى عودتها من الجزيرة، فقد أحسّت بأنّ جبينَها وُسِمَ بوصمةٍ يراها الرجال جميعًا، وهيهاتَ لها أن تَخْفَى عن الرجل الذي يحبّها حبًّا جمًّا، وتحبّه هي أكثر من أيّ مخلوق آخر. كان كلاهما مدخّنًا شرهًا، يدخّن علبتين من السجائر يوميًّا لأعوام طويلة خلتْ، لكنّهما كفّا عن التدخين معًا باسم الحبّ. إلّا أنّ آنا مجدلينا عادت إلى التدخين منذ رجوعها من الجزيرة، واكتشفَ زوجُها فعلتَها من تبدّل أماكن منافض السجائر، ومن رائحة الدخان رغم تبخيرها الجوَّ سرًّا بالمنقّيات، وكذلك من الأعقاب التي كانت تنساها سهوًا.

تبدّل نظام حياتها كلّه منذ أن عادت من الجزيرة. فقد تأخّرت عدّة أشهر من دون أن تتقدّم في قراءة كتاب ***أنطولوجيا أدب***

الفانتازيا لمؤلِّفيه بورخيس وَبيوي كاساريس وَأوكامبو. وصارت لا تهنأ بالنوم، فتذهب عند الفجر إلى الحمّام كي تدخّن ثمّ تفتح ماء المرحاض كي تصرّف أعقاب السجائر التي كان الزوج يعلم أنّه سيجدها عائمة حينما يستيقظ في الخامسة صباحًا. وفي الحقيقة، لم تكن تستيقظ من نومها كي تدخّن وحسب، بل على العكس من ذلك، كانت تدخّن لأنّها لا تنعم بالسكينة اللازمة كي تغفو. وفي بعض الأحيان كانت تشعل مصباح كومودينة السرير لتقرأ دقائق قليلة، ثمّ تطفئه من جديد وتتقلّب في الفِراش يمينًا وشمالًا بحذر فائق كي لا توقظ زوجها، حتّى إنّه تجرّأ مرّة على أن يسألها:

– ما بكِ؟

أجابته على الفور:

– لا شيء. ولِمَ تسألني هذا السؤال؟

– اعذريني، من المستحيل ألّا انتبه إلى التبدّل الذي أصابك. قال لها، ثمّ أضاف بأسلوبه الراقي: هل أخطأتُ أنا بحقّك في أمر ما؟

قالت بلهجة أدهشتِ الزوج كثيرًا:

– لا أعلم، فأنا نفسي لم أنتبه للأمر ولكن ربّما تكون محقًّا في ما قلت. أليس ذلك بسبب شِجاري مع ميكائيلا؟ قال.

ثمّ تجرّأ أخيرًا على أن يبوح بما في صدره:

- لا، لقد تبدّلتِ من قبل. فمنذ أن عدتِ من الجزيرة وأنتِ على هذه الحال.

ومع بداية الحرّ في شهر تمّوز بدأ الفَراش يرفرف في صدرها ولن يتركها ترتاح حتّى تعود إلى الجزيرة. كان شهرًا طويلًا، زاد من طوله تردّدها وحيرتها. ولطالما كانت رحلتها إلى الجزيرة رحلة عاديّة مثل الذهاب إلى الشاطئ يوم الأحد، إلّا أنّها في تلك السنة سُبِقَت بذعرها من لقاء عشيقها العابر، صاحب العشرين دولارًا، الذي كانت قد نبذتْه من قلبها. وبدلًا من ملابس الجينز التي ارتدتْها في السنة السابقة، وحقيبة الشاطئ التي حملتْها آنذاك أيضًا في يدها، ارتدت بدلة من الكتّان الخام مكوّنة من قطعتين، وانتعلت صندلًا ذهبيّ اللون، وحملت في يدها حقيبةً بداخلها بدلة رسميّة وحذاء عالي الكعب ومجموعة من الحليّ المصنوعة من الزمرّد المُبهرج. أحسّت بنفسها امرأة أخرى: متجدّدةً ومُفعمةً بالقوّة.

3

وما إن نزلت من العبّارة في الجزيرة، حتّى رأت سيّارة التاكسي التي تستقلّها عادة وبدت لها متهالكة أكثر من أيّ وقت مضى، فاختارت بدلًا منها سيّارة أخرى، حديثة، مكيّفة. ولمّا لم تكن تعرف فنادق أخرى غير الفندق الذي كانت تنزل فيه سابقًا، فقد طلبت إلى السائق أن يأخذها إلى فندق الكارلتون الذي افتُتِحَ مؤخّرًا، وكان صرحًا شاهقًا من الزجاج الذهبيّ اللون، شَهِدت هي بذاتها في رحلاتها الثلاث السابقة، مراحلَ بنائه وسط غابة من الهياكل المعدنيّة. وفي زحام شهر آب، تعذّر عليها أن تجد في هذا الفندق غرفة تلائم إمكانيّاتها الماديّة، لكنّها تمكّنت من الحصول على حسم مُعتَبر في أحد أجنحة الطابق الثامن عشر، المبرّدة حتّى الصقيع، والمطلّة على الكاريبيّ وأُفقه الرحيب، وكذلك على البحيرة الممتدّة حتّى تخوم سلسلة الجبال. كانت كلفة إقامتها في الجناح تعادل ربع راتبها الشهريّ الذي تتقاضاه مقابل عملها معلّمةً، إلّا أنّ بهو الاستقبال، ببهائه وهدوئه وجوّه المنعش ولطفِ الخدم فيه، أشاع في نفسها الإحساس بالأمان الذي كانت تحتاج إليه. ومنذ لحظة وصولها في الساعة الثالثة

والنصف من بعد الظهر، وحتّى لحظة نزولها إلى المطعم كي تتناول طعام العشاء في الساعة الثامنة مساءً، لم تنعم بلحظة واحدة من الراحة. بدت لها الزنابق المعروضة في محلّ بيع الأزهار في الفندق رائعة، لكنّها كانت أغلى من غيرها بعشرة أضعاف، فارتضت بزنابق بائعة الأزهار التي اشترت منها في رحلتيها السابقتين. وكانت تلك البائعة أوّلَ من أعلمها بمقبرة السيّاح الجديدة التي تقع على ضفّة البحيرة، وتبدو مثل حديقة غنّاء، مليئة بالأزهار الطبيعيّة، وتصدح فيها الموسيقى، وتغرّد في أرجائها الطيور، إلّا أنّ الأموات يُدفَنون فيها وقوفًا كَسْبًا للمساحة.

وصلت إلى مقبرة الجزيرة بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر بقليل، تحت شمس كانت أقلّ حدّة من السنوات السابقة. كانت بعض القبور قد أُفرِغَت من الأموات، وعلى جانبَيّ الدرب الذي يخترق المقبرة تُرِكَت بقايا التوابيت والعظام مرميّة بين أكوام الكلس الحيّ. كانت قد نسيت قفّازاتها في عُجالة الساعة الأخيرة، فاضطُرّت إلى تنظيف قبر أمّها من الأعشاب بيدين عاريتين، وهي تسرد عليها حصيلة حوادث العام. لم يكن لديها من الأخبار السارّة غير خبرٍ عن ابنها. ففي شهر كانون الأول المقبل سوف يشارك بالعزف للمرّة الأولى مع الأوركسترا السمفونيّة، مؤدّيًا دور العازف المنفرد في **تنويعاتٍ** على لحنٍ من

ألحانِ الرُكوكو لتشايكوفسكي. بذلت جهودًا عجيبة كي تحافظ على سمعة ابنتها، إذ لم تأتِ على ذكر ميولها الدينيّة، فذلك لن يكون خبرًا مفرحًا لأمّها. وأخيرًا، شدّت على قلبها بقبضة يدها وباحت لها بسرّ ليلة حبّها العابر التي عاشتها العامَ الماضي، وهو سرٌّ كانت قد احتفظت به لنفسها من دون الآخرين، وخبّأتْه لتلك اللحظة لا لسواها. أخبرتْها أنّها التقت بذلك الرجل لكنّها لم تعرف اسمه ولا هويّته. كانت على قناعة بأنّ أمّها سترسل لها إشارة استحسانها للأمر قريبًا، حتّى إنّها انتظرتْها في الحال. نظرت إلى شجرة السيبا المزهرة وكانت عناقيد زهرها المتكاثف تتطاير مع الريح، فرأتِ السماء والبحر وطائرة مَيامي متأخّرة أكثر من ساعة عن موعدها في الأعالي الأبديّة، الفسيحة.

وحينما عادت إلى الفندق، أحسّت بالخجل من حال ملابسها وشعرها المتّسخ بالغبار. كان قد مرّ عام على آخر مرّة ذهبت فيها إلى صالون الحلاقة والتجميل، فبدا شعرها مسترسِلًا بوداعة، منسرحًا بكياسة، ملائمًا لشخصيّتها. استقبلها في صالون حلاقة الفندق مصفّف شعر متحذلق، ذرب اللسان، يليق به اسم نارسيسو أكثر ممّا يليق به اسمه الحقيقيّ غاستون، فأمطرها بوابل من العروض المُغرِية حول التسريحات المُمكنة لتصفيف شعرها، وانتهى به الأمر إلى أن سرّحه لها تسريحةً مثل سيّدات المجتمع، وهي تسريحة تقوم بها عادة بنفسها لحضور سهرات الأصدقاء،

وذلك من دون الحاجة إلى سماع هذا الكلام الجميل، المنمّق، كلّه. ثمّ قامت مزيّنة الأيدي بالعناية بيديها اللتين تأذّتا من أشواك المقبرة، ومسحتْهما بحنوّ بأحد مراهم التجميل، فأحسّت آنا مجدلينا بارتياح كبير، حتّى إنّها وعدت الاثنين بالعودة في العام المقبل وفي التاريخ نفسه كي تجرّب أسلوبًا جديدًا في تصفيف شعرها وفي إبراز مفاتنها. أوضح لها غاستون أنّ الأجر يُسَجّل على فاتورة الغرفة، باستثناء العشرين بالمائة منه، وهو البقشيش الذي يجب دفعه حالًا. وكم يكون؟ سألته.

- عشرين دولارًا، قال غاستون.

أحسّت بالانقباض من تلك المصادفة المهولة التي لم ترَ فيها إلّا الإشارة المُنتَظَرة من أمّها كي تكوي بها جراح مغامرتها وتُبَلْسِمَها. فأخرجت ورقة العشرين دولارًا التي ما فتِئت تتّقد في جوف محفظتها عامًا كاملًا كجمرة أبديّة خلّفها فيه عشيقها المجهول، ثمّ ناولتْها لمصفّف الشعر، بكلّ سرور.

قالت له وهي تحسّ بالسعادة:

- أنفِقْها في مكانها الصحيح، إنّها من لحم ودم.

في ذلك الفندق العجيب اكتشفت آنا مجدلينا باخ أسرارًا أخرى لم يكن سهلًا عليها استيعابها. فحينما أشعلت سيجارتها دوّى في أرجاء الغرفة صفير جهاز الإنذار مصحوبًا بنور برّاق، وسَمِعَت صوتًا آمرًا يُبلغها بثلاث لغات أنّها في غرفة لا يُسمح

فيها بالتدخين. تعيّن عليها أيضًا أن تطلب مساعدة الخدم كي تعرف أنّ البطاقة الممغنطة التي تفتح بها الباب هي نفسها التي تُشعل بها المصابيح والتلفاز وتُشغّل المكيّف وموسيقى الغرفة. وبيّنوا لها أيضًا كيف تستعمل جهاز التحكّم الإلكترونيّ الخاصّ بالبانيو المستدير، وكيف تضبط به ماء الجاكوزي بغية استخدامه للأغراض العلاجيّة أو لمجرّد الفنتازيا الأيروتيكيّة. جُنّت من غرابة ما رأتْ، فخلعت عنها ملابسها المبلّلة بالعرق الذي سبّبته شمس المقبرة، ثمّ اعتمرت قبّعة الاستحمام البلاستيكيّة كي تحافظ على تصفيفة شعرها واستسلمت لدوّامة الماء الذي يُرغي بالزبد. أحسّت بالسعادة، فأمسكت الهاتف واتّصلت بالمنزل لتُفصِحَ لزوجها عمّا يجول في أعماقها حقًّا:

- لا يمكن لك أنْ تتصوّر مدى اشتياقي لك.

كانت عبارات الإثارة التي قالتْها لزوجها حيّة، ساخنة، حتّى إنّه أحسّ على الهاتف بهِياج الماء في البانيو.

- اللعنة! أنتِ مدينة لي بتجربة كهذه في مرّة قادمة، قال.

وحينما نزلت من غرفتها لتناولِ العشاء كانت الساعة تشير إلى الثامنة. فكّرت بدايةً في أنْ تطلب بعض الطعام هاتفيًّا كي لا تُضطرّ لارتداء ملابسها، لكنّ الكلفة الإضافيّة لخدمة الغرف جعلتْها تقرّر أن تتناول عشاءها في الكافتيريا مثل الفقراء. كان فستانها الحريريّ، الأسود، الملتصق بقدّها، يليق بها وبتصفيفة

شعرها، وإنْ زاد طوله عن الموضة الدارجة. أحسّت بشيء من التردّد بسبب تقويرة فستانها عند الصدر، إلّا أنّ الطوق والقرطين والخواتم المصنوعة من الزمرّد الاصطناعيّ رفعت من معنويّاتها وزادت من بريق عينيها.

في الكافتيريا، أنهت سريعًا فنجان القهوة بالحليب وشطيرة الجامبون بالجبن، إذ أحسّت بالضيق من صراخ السيّاح والموسيقى الصاخبة، فقرّرت أن تعود إلى الغرفة كي تقرأ رواية *يوم التريفيد* لمؤلّفها جون ويندهام، وهي رواية كانت لديها منذ أكثر من ثلاثة أشهر، تنتظر دورها في القراءة. أعاد لها الهدوءُ الذي وجدتْه في بهو الاستقبال الحيويّة والنشاط، ولمّا مرّت أمام الكباريه لفتَ نظرها شابّ وصبيّة، يحترفان الرقص، يرقصان على لحن *فالس الإمبراطور* بإتقان مُحكم. ظلّت واقفة عند الباب ذاهلة، حتّى بعد أنْ أنهى الشابّ والصبيّة رقصتهما الاستعراضيّة واندفع زبائن الفندق العاديّين إلى حلبة الرقص. وفجأة أيقظها من شرودها صوتٌ عذبٌ لرجلٍ كان يقف قريبًا منها، خلفها:

– هل نرقص؟

كان شديد القرب منها حتّى إنّها اشتمّت رائحة خوفه الخافتة، وراء العطر الذي مسح به ذقنه بعد الحلاقة. وحينئذ نظرت إليه من فوق كتفها، فانقطعت أنفاسها.

قالت له ذاهلة:

- المعذرة، فأنا لا أرتدي ملابس ملائمة للرقص.

وكان ردّه فوريًّا:

- أنتِ من تمنحين الملابس رونقها يا سيّدتي.

أدهشها كلامه، ومن دون وعي منها تلمّست براحتيها جسمَها، فَأعلى صدرها البيّن، فصدغيها النابضين، ثمّ ذراعيها العاريتين، وذلك كي تتأكّد أنّها لا تزال فعلًا في المكان الذي تحسّ بأنّها فيه. ثمّ عادت ونظرت إليه مرّة أخرى من فوق كتفها، لا كي تعرف من هو صاحب الصوت، إنّما كي تلتهمه بأجمل عينين يمكن لهذا الرجل أن يراهما في حياته كلّها على الإطلاق.

قالت له بفتنة:

- أنت شديد اللطف. لم يعد هناك رجال يقولون هذه الأشياء.

وحينذاك وقف بمحاذاتها وكرّر عليها دعوتَه لها إلى الرقص، إنّما بصمت هذه المرّة، مادًّا يده الحانية لها.

أحسّت آنا مجدلينا باخ بأنّها وحيدة في جزيرتها وطليقة فيها من كلّ قيد، فتمسّكت بتِلك اليد بكلّ ما أُوتيَت من قوّة، كما تتمسّك بحافّة الهاوية. رقصا معًا على ثلاثة ألحانٍ من ألحان الفالس، رقصًا تقليديًّا؛ ومنذ الخطوات الأولى اعتقدت أنّ هذا الرجل ما هو إلّا راقص محترف آخر، يعمل في كَباريه الفندق منشّطًا لأجواء سهرات السيّاح، وذلك لمهارته في الرقص وجرأته فيه، فاستسلمت للدوران معه والطيران، إلّا أنّها أبقتْه

بعيدًا عنها بحزم، بمقدار طول ذراعها. قال لها: «إنّك تجيدين الرقص مثل المحترفات». كانت تعرف أنّ ما قاله صحيحًا، لكنّها حينذاك كانت تعرف أيضًا أنّه سيقول قوله ذاك، على كلّ حال، لأيّ امرأة أخرى يرغب بالذهاب بها إلى السرير. وفي الرقصة الثانية حاول أنْ يضمّها إلى جسمه، لكنّها صدّتْه وأبقتْه في مكانه. استوعبَ ردّة فعلها وأخذ يُبرِز مهاراته الفنّيّة في الرقص، مُمْسِكًا بها من خصرها بأطراف أصابعه، كما يُمسِك بزهرة، أمّا هي فقد كانت تردّ عليه بالمثل. وفي منتصف الرقصة الثالثة صارت تعرفه كما لو كان ذلك منذ الأزل.

ولم تكن تتخيّل قطّ رجلًا بهذه الوسامة، في مثل هذا المظهر البالي، القديم. كان داكن البشرة، ذا عينين تلمعان تحت حاجبيه الكثيفين، وشعرٍ أسودٍ فاحمٍ تمامًا، مُلّسَ بالكريمات وفُرِقَ في منتصفه بفَرْقٍ مُحْكَم التّسريح. وكانت بدلته الاستوائيّة، المصنوعة من الحرير الخام، والمشدودة عند وركيه الضيّقين، تُتمِّم فيه مظهرَ الغُندور المُتأنِّق. كان كلّ ما فيه مزيّفًا تمامًا مثل حركاته، إلّا عينيه المحمومتين فقد بدتا تائقتين إلى الحنان.

في نهاية جولة رقص الفالس قادها إلى طاولة بعيدة من دون أنْ يُخطرها بما هو فاعل ولا أن يستأذنها. لم تكن هناك حاجة لذلك، فهي تعرف ما يُضمر لها سلفًا، وقد سُرّت بأن يطلب الشَّمبانيا. كانتِ الصالة في شبه عتمتها لطيفة الأجواء فتمنح

الشعور بالراحة والأمان، وكان لكلّ ركن فيها حميميّته الخاصّة به. أخذا قسطًا من الراحة أثناء جولة رقص السالسا، وشاهدا الأزواج الذين يرقصون في الحلبة بجنون، لأنّها كانت تعلم أنْ لا شيء لديه يقوله لها أبدًا ما خلا شيئًا واحدًا فقط. تمّ الأمر بسرعة وشربا نصف زجاجة من الشمبانيا. انتهت جولة السالسا في الساعة الحادية عشرة، فأعلنت الفرقة الموسيقيّة النحاسيّة عن حضور إيلينا بوركي، ملكة البوليرو، في عرض خاصّ واستثنائيّ لليلة واحدة فقط، بمناسبة جولتها المظفّرة في منطقة الكاريبي. فظهرت المغنّية على المنصّة، تحت بريق الأضواء الخاطفة للأبصار، وسط عاصفة من هتافات الحاضرين ودويّ الآلات الموسيقيّة الصاخب.

قدّرت آنا مجدلينا باخ أنّ عمره لا يتجاوز الثلاثين عامًا، فهو يكاد لا يعرف كيف يرقص البوليرو. أرشدتْه بنفسها، بلباقة وهدوء، فانتظمت خطواته في الرقص. أبقتْه على مسافة منها، لا من باب الوقار هذه المرّة، إنّما كي لا تمنحه المسرّة في أن يحسّ بدفق الدم المحموم في عروقها نتيجة شربها الشَّمبانيا. إلّا أنّه جذبها نحوه من خصرها بدايةً بلطافةٍ، ثمّ بكلّ ما أُوتِيَت ذراعه من عزم. وحينذاك أحسّت هي على فخذها بما كان يريد لها أن تحسّ به كي تدركَ رغبته الحقيقية. شعرت بانحلالِ ركبتيها، فأطلقت اللعنات على نفسها لاضطراب الدم في عروقها،

واحتدام لهيب أنفاسها الحارق. مع ذلك، تمكّنت من السيطرة على نفسها ورفضت دعوته إلى زجاجة أخرى من الشمبانيا. ولا بدّ أنّه لاحظ ارتباكها، إذ دعاها إلى التنزّه على الشاطئ. لكنّها أخفتِ استياءها منه باستهتار فيه إشفاق:

- هل تعلم كم أبلغ أنا من العمر؟

- ليس بوسعي أن أتصوّر أنّ لكِ عمرًا. فعمركِ هو ما تريدين أنتِ، قال.

ولم يكد يُنهي كلامه حتّى أحسّت بالسأم من كثرة كذبه، وألْفَت نفسها ورغبتها به بين خيارين لا ثالث لهما: الآن وإلّا فلا أبدًا.

قالت له وهي تنهض:

- أنا آسفة، عليّ أن أنصرف.

انتفض الرجل مرتبكًا.

- ماذا جرى؟

- عليّ أن أنصرفَ. فالشمبانيا ليست مشروبي المفضّل، قالت.

اقترحَ عليها تسليات أخرى بنوايا سليمة، ربّما من دون أن يعلم أنّ المرأة حينما تُزْمِعُ على الانصراف، فليس لأيّ قدرة بشريّة أو إلهيّة أن تردّها عنه. وأخيرًا أذعن لرغبتها.

- هل تسمحين لي بمواكبتكِ؟

- لا تزعج نفسك، وشكرًا لك فعلًا، فلقد كانت ليلة لا تُنسى.

في المصعد أحسّت فورًا بالندم وشعرت بكراهية شديدة حيال نفسها. بيد أنّ سرورها بتصرّفها معه بما كان ملائما عوّضها عن هذا الشعور. دخلت غرفتها ونزعت حذاءها، ثمّ ارتمت على ظهرها في السرير وأشعلت سيجارة. دوّت صفّارة الإنذار، وفي الوقت عينه تقريبًا قُرِعَ الباب، فأطلقت آنا مجدلينا اللعنات على هذا الفندق الذي يُلاحق القانون فيه النزلاء حتّى في خلوتهم في المرحاض. إلّا أنّ مَنْ قَرَعَ البابَ لم يكن القانونُ، بل كان هُوَ بذاته. بدا مثل تمثال من متحف الشمع في الممرّ شبه المظلم. تحقّقت منه بلا هوادة ويدها على مقبض الباب، ثمّ أفسحت الطريق له أخيرًا، فدخل الغرفةَ كما يدخل بيتَه.

- هاتي شيئًا نشربه، قال.

قالت وهي مسترخية تمامًا

- اخدمْ نفسَك بنفسِك، فأنا لا أعرف أبدًا كيف تعمل هذه المركبة الفضائيّة.

أمّا هو فقد كان يعرف تمامًا كيف تعمل، إذ خفّف الإضاءة، وشغّل موسيقى الغرفة، وصبّ كأسين من الشمبانيا التي أخرجها من الثلّاجة، وذلك كلّه بمهارة المخرج المسرحيّ. استسلمت آنا مجدلينا للّعبة، لكنّها لم تستسلم لها بشخصيّتها الحقيقيّة، إنّما بشخصيّة الممثّلة التي تؤدّي الدور الرئيسيّ الخاصّ بها. كانا لا

يزالان في مرحلة تبادل الأنخاب، حين رنّ جرس الهاتف وأبلغها أحد المسؤولين عن أمن الفندق بلطف شديد أنّه لا يُمكن لأيّ زائر أن يبقى في أيّ غرفة بعد الساعة الثانية عشرة ليلًا، من دون أن يُسجَّل اسمُه في سجلّات الاستقبال.

قاطعت المتحدّث وهي تحسّ بالخجل:

- لا حاجة بكم لإيضاح ذلك، لو سمحتم. والمعذرة منكم.

أغلقت سمّاعة الهاتف وقد احتقن وجهها حياءً. أمّا هو فقد برّر تحذير أمن الفندق تبريرًا سهلًا، كما لو أنّه سمعه، إذ قال: «إنّهم من المورمون». وبلا مواربة دعاها للذهاب إلى الشاطئ بغية تأمّل الخسوف الكليّ للقمر، قائلًا إنّه سيحدث بعد ساعة وربع. لم تكن تعلم بهذا الخبر، وهي لديها ولع مثل الأطفال برؤية القمر مخسوفًا، لكنّها كانت قد أمضت السهرة بطولها وهي تصارع نفسها حائرة في الخيار بين الرصانة والغواية، ولم تجدْ حجّة مقنعة كي تقرّر ما تريد.

- لا مفرّ أمامنا، هذا هو قدَرنا، قال.

تنَحّتِ الوساوس عنها بتجدّد طاقتِها العجيب، فذهبا معًا بشاحنته الفاخرة ليريا الخسوف، قاصدَين جونًا صغيرًا، متواريًا عن الأنظار خلف غابةٍ من أشجار جوز الهند، خاليةٍ من أيّ أثر للسيّاح. وفي الأفق بدا بريق المدينة بعيدًا، وبدتِ السماء صافية، مرصّعة بالنجوم، في وسطها قمر وحيد، كئيب. توقّف بشاحنته

في ظلال أشجار النخيل، فنزع حذاءه وأرخى حزام بنطاله، ثمّ دفع مسند مقعده إلى الخلف كي يتمدّد عليه ويستريح. ولم تدركْ آنا مجدلينا حقيقة الشاحنة إلّا في تلك اللحظة، إذ رأت أنْ ليس فيها غير مقعدين من الأمام، يتحوّلان إلى سريرين بكبسة زرّ، وأنّ ما تبقّى في الخلف ليس غير متاع تكميليّ، توارى خلف ستارة قرمزيّة اللون، وكان عِبارةً عن ثلّاجة صغيرة فيها مشروبات كحوليّة، وجهازٍ لسماع الموسيقى يصدح بألحان فاوستو بابيتي على الساكسوفون، وحمّام صغيرٍ فيه شطّافة محمولة. تأمّلت آنا مجدلينا ما رأت وفهمت كلّ شيء.

- ليس هناك خسوف للقمر اليوم، قالتْ.

أكّد لها أنّ الخبر أُذِيعَ في وسائل الإعلام.

- ليس هناك خسوفٌ. فالخسوف لا يحدث إلّا إذا كان القمر بدرًا تمامًا، وهو الآن هلالٌ في ربع الشهر.

لم يرتبك الرجل وظلّ رابط الجأش.

- حسنًا. سوف نشاهد كسوف الشمس إذًا. فلدينا متّسع من الوقت، قال.

لم يَعُدْ عليهما القيام بالمزيد من الإجراءات، فكلاهما كان يعلم بوضوح مبتغاه، أمّا هي فكانت تعلم أيضًا أنّه لا يمكن لها أن تتوقّع منه شيئًا مميّزًا غير الذي ابتغاه منها منذ أن رقصا على إيقاع البوليرو الأوّل. أدهشها بخفّة يده وهو يعرّيها من ملابسها،

إذ فعل ذلك بمهارة الحاوي المحترف، فنزعها عنها قطعةً قطعةً، برؤوس أصابعه، من دون أن يمسَّ جسمَها تقريبًا، وكأنّه ينزع القشر عن البصل. ومنذ الرّهْزَةِ الأولى أحسّت بأنّها تحتضر من الألم، وشعرت برجّة مُريعة ترجّها كالعِجْلَة التي تُقطّع إلى قطع. انقطعت أنفاسها وابتلّ جسمها بعرقها البارد، لكنّها استنجدت بغرائزها البدائيّة كي لا تحسّ بأنّها أدنى منه مستوًى وكي لا تدعه يحسّ بذلك، فاستسلما معًا للذّة فاقت حدود الخيال، نجمت عن العنف العاري الذي روّضه الحنان. ولم ينشغلْ قطّ بالها بمعرفة هويّة ذلك الرجل، لا بل إنّها لم تسعَ إلى ذلك أساسًا، إلى أن أتى يوم بعد ثلاث سنوات على تلك الليلة القاسية، ورأت فيه على شاشة التلفاز صورتَه المركّبة رسمًا وقد بدا شبحًا كئيبًا مثل مصّاص الدماء، وسمعت أنّه مطلوبٌ لأجهزة الأمن في منطقة الكاريبي بأسرها، لكونه نصّابًا وقوّادًا لأراملَ ظامئات إلى الحب، ومتّهمًا أيضًا بقتل اثنتين منهنّ.

4

التقت آنا مجدلينا باخ برجل العام التالي على متن العبّارة التي كانت تقلّها إلى الجزيرة. كانتِ السماء تنذر بالمطر، والبحر يبدو كما في شهر تشرين الأوّل، فلا يحسّ المرء بالارتياح وهو في الخلاء. بدأت إحدى فرق الموسيقى الكاريبيّة العزفَ منذ أن أبحرت العبّارة، فأخذت مجموعة من السيّاح الألمان بالرقص على أنغامها من دون أن يستريحوا حتّى وصولهم إلى الجزيرة. أمّا هي فقد التجأت إلى سكينة المطعم المُقفِرِ في الساعة الحادية عشرة كي تركّز على قراءة رواية ***وقائع من المرّيخ*** لمؤلّفها راي برادبري. أفلحت في مسعاها جزئيًّا، إلى أنْ قاطعها أحدهم صائحًا من بعيد:

– هذا اليوم هو يوم سعدي!

وظهر الأستاذ أَكيلِس كُرُنادو في الممرّ، وهو محامٍ ذو مكانة رفيعة وأحد أصدقائها القدامى منذ أيّام المدرسة وإشبين ابنتها في العمادة. أقبل نحوها فاتحًا ذراعيه وهو يمشي مشيته المتكلّفة مثل مخلوق من رتبة الرئيسيّات. رفعها من خصرها في الهواء وغمر وجنتيها بالقُبل. كان لطفُه المُبالَغ فيه قليلًا يثيرُ في النفس

شكوكًا أكثر ممّا يستحقّ، إلّا أنّ آنا مجدلينا كانت تعرف أنّ سروره برؤيتها حقيقيّ وصادق، فبادلتْه الودّ نفسه وأجلستْهُ إلى جانبها.

- يا للهول! لم نَعُدْ نلتقي إلّا في الأعراس أو في المآتم، قال لها.

والواقع أنّه كانت قد انقضت ثلاث سنوات من دون أن يلتقيا فيها، فبدت آثار مرور الزمن عليه بوضوح، حتّى إنّها ارتاعت لمجرّد التفكير في أنْ يكون قد رآها هو أيضًا بعين الدهشة نفسها التي رأتْه بها. كان لا يزال مُحتفظًا بزخم المصارع وحيويّته، إلّا أنّ بشرته تبقّعت ببقع بنيّة فاهية، ونما تحت ذقنه لُغْدٌ مثل رجال عصر النهضة، ومالت إلى الاصفرار بعض خصل شعره الذي شعَّثَه نسيم البحر. ومنذ أن تعارفا في المرحلة الثانويّة كان متخصّصًا في الغراميّات العابرة التي لم تكن تتجاوز في جرأتها الذهاب إلى السينما سرًّا برفقة إحداهنّ لحضور عرض الساعة السادسة مساءً. مع ذلك، فقد تزوّج زيجةً موفّقةً، جلبت له شهرةً ومالًا أكثر من حياته كلّها التي أمضاها بين ملفّات القانون المدنيّ.

أمّا إخفاقه الوحيد فكان مع آنا مجدلينا باخ، إذ أَوْصَدَت الأبواب في وجهه منذ محاولته الأولى معها وهما في الخامسة عشرة من العمر. وبعد أن تزوّج كلٌّ منهما وصار لديه أولادٌ، عاد إلى ملاحقتها بإصرار وببعض الصفاقة أيضًا، كي يذهب بها إلى

السرير من دون مقدّمات عاطفيّة. اتّبعت معه آنا مجدلينا تكتيكًا قاتلًا إذ أهملتْه ولم تأخذْه على محمل الجدّ، لكنّه أصرّ على مبتغاه حتّى إنّه ملأ منزلها بالأزهار وأرسل لها رسالتين لاهبتين بالعواطف، أفلحتا في إثارة مشاعرها. مع ذلك، فقد ضبطت نفسها بحزم وامتنعت عن مجاراته كي لا تُفسِد صداقة العمر الجميلة التي تجمع بينهما.

وحينما عادا والتقيا في المركب بدا بمظهرٍ بديع لا غبارَ عليه، ولم يكن لأحد أن يبدو مثله إن هو ابتغى ذلك. ودّعتْه عند رصيف المرفأ، لأنّ وقتَه كان ضيّقًا، ويكاد لا يتّسع لإنجاز أشغاله المترتّبة عليه في الجزيرة حتّى يعود في عبّارة الساعة الرابعة. زال الهمّ عن قلبها وتنفسّت الصُّعداء. كانت قد حلمت ساعة بعد ساعة بذلك اليوم الجديد، يوم السادس عشر من شهر آب، وتوصّلت إلى خلاصة حاسمة لا يرقى إليها الشكّ: كان من العبث أن تنتظر عامًا كاملًا كي ترهن بقيّة حياتها لمصادفات ليلة واحدة. ثَبُتَ لها أنّ مغامرتها الأولى وُضِعت في متناول يدها بمصادفة سعيدة، لكنّها اختارتْها بنفسها، أمّا في المغامرة الثانية فقد اختارها أحدهم، من دون أن يكون لها يد في الأمر. أفسدت ورقة العشرين دولارًا بطعمها المرّ المغامرة الأولى، إلّا أنّ الرجل كان يستحقّ أن تقضي معه الليلة. أمّا المغامرة الثانية فكانت تفجّرًا لرغبة خارقة

خلّفت في أحشائها نارًا مستعرة، كلّفتْها ثلاثة أيام من استخدام الفُوَطِ النسائيّة ومغاطس الماء الفاتر لتخفيف الآلام.

وَفي ما يخصّ الفنادق، فإنّ فندقها القديم، المُعتاد، كان الأفضل والأكثر راحة وملاءمة لها، لكنّ فيه خطر افتضاح أمرها. أمّا فندق مغامرتها الثانية، فقد كانت حداثته زاجرة، بلغت في زجرها حدود التزمّت الأخلاقيّ الذي يعود إلى القرون الوسطى. وعلى كلّ حال، فإنّ خطأ ارتداء ملابس زاهية من أجل قضاء ليلة واحدة في أحد الفنادق لم يكن من شأنه سوى أن يزيد الخطر في ألّا يترك لها العشيق العابر ورقة من فئة العشرين دولارًا وحسب، وإنّما من فئة المائة. ولذا قرّرت في مغامرتها الثالثة هذه، أن تكون هي ذاتها، وأن تلبس ملابسها كما تلبس هي، وأن تحتفظ بحرّيّة الاختيار لنفسها، وألّا تترك الأمر للمصادفة. تذكّرت عشيقها العابر الأول بشيء من التسامح لافتقاره إلى اللّباقة. وأحسّت بأنّ جروحها بدأت تلتئم وتمنّت من أعماق نفسها أنْ تعثر عليه من جديد، فتمضي به إلى السرير، لا بخوفٍ وعجالةٍ هذه المرّة، إنّما بوثوق العاشقَين القديمَين الخلّاق.

عثرت على ضالّتها المنشودة بمعونة سائق تاكسي متميّز بخبرته، إذ دلَّها على فندق غُرَفُه أكواخ ريفيّة متناثرة في غابة من أشجار اللوز، في وسطه ساحة واسعة للرقص أُحيطَت بالطاولات، وعُلّقَ فيها بعجالةٍ إعلانٌ عن حفل خاصّ تقدّمه

مساءً المغنّية الكوبيّة الكبيرة، سيليا كروس. بدا الكوخ الذي خُصِّصَ لها أليفًا ومنعشًا في برودته، كما أنّ سريره بدا مُريحًا وعريضًا حتّى لثلاثة أشخاص، أمّا موقعه بين الأشجار فكان لا مثيل له. تصاعد رفيفُ أجنحة الفَراش في صدرها وغَدا لا يُحتَملُ، لمجرّد تصوّرها أن يكون رجل حياتها معها، في هذا المكان، حتّى مطلع الفجر.

كانت السماء لا تزال تُمطر رذاذًا في المقبرة. لفت نظرها أنّ القبور نُظّفت من الأعشاب البرّيّة، وأنّ الدروب بينها مُهِّدَت وأُزيلَت منها بقايا توابيت الأموات المجهولين وبقايا عظامهم. قدّمت لأمّها كشفًا تفصيليًّا دقيقًا عن العام الذي مرّ، فأخبرتْها عن زوجها وكيف كان عامُه حافلًا بالنشاطات في الكونسرفاتوار، رغم شحّ الموارد الماليّة في بلديّة المدينة، كما أخبرتْها عن تطوّرات عمل ابنها في الأوركسترا، وعن فشل جهودها في ثَنْيِ ابنتها عن الالتحاق بالدّير.

لدى عودتها إلى الفندق، رأت في أحد المحلّات التي تبيع أغراضًا للسيّاح ثوبًا رائعًا من أثواب الوِيبِيل المكسيكيّة التقليديّة، فبدا لها أكثر الأثواب ملاءَمةً لِلَيلَتها. أحسّت بأنّها سيّدة نفسها تمامًا. قرأت القصّة الثالثة من كتاب ***وقائع من المرّيخ*** من دون أن تُفاجأ فيها بأيّ شيء. ثمّ اتّصلت بزوجها وتسلّيا قليلًا بتبادل نكات الحبّ. استحمّت ورأت نفسها في المرآة شديدة الجمال

والانطلاق مثل ملكة الأزِتك التي استُوحِيَ منها ثوب الويبيل، إلّا أنّ حذاءها الجلديّ اللمّاع لم يعجبْها، فاعتقدت أنّ أبّهتها في تلك الليلة لن تكتمل إلّا بالخروج حافية القدمين، لكنّها لم تتجرّأ على فعل ذلك. وهكذا توجّهت إلى حلبة الرقص وهي تحسّ بهذا الانزعاج العابر، لكنّها كانت واثقة من أنّها تستبق المصادفات وتقطع الطريق عليها.

بدت أشجار اللوز كما في أعياد الميلاد، إذ زُيِّنَت بشرائط عُلِّقَت بها مصابيح ملوّنة، وكانت الساحة مثيرة للبهجة، إذ غصّت بشبّان وشابّات من مختلف الأعراق، وبشقراوات معهنّ رجال سود تعرّفنَ عليهم مصادفة، وبأزواج مسنّين قانعين بما قسم الله لهم. جلست آنا مجدلينا إلى إحدى الطاولات البعيدة متيقّظة الحواسّ، وفجأة أتى أحدهم من الخلف وغطّى عينيها بيديه. تلمّستْهما بجرأة وتعرّفت باللمس على ساعة كبيرة الحجم في معصم اليد اليسرى، فضلًا عن خاتم الزواج في البنْصَر، لكنّها لم تجرؤ على التلّفظ بأيّ اسم.

- لقد عجزتُ، قالت.

كان خلفها أَكيلِس كُرُنادو، وقد اضطُرَّ إلى تأجيل عودته إلى اليوم التالي، ولم يبدُ له ملائمًا أن يتناول كلٌّ منهما عشاءه بلا رفقة، فيما كلاهما وحيدٌ في الجزيرة. لم يكن يعرف في أيّ فندق

كانتْ، لكنّ زوجها أخبره باسم الفندق على الهاتف، معبّرًا عن سعادته بأن يتناولا طعام العشاء معًا.

قال مختتمًا كلامه وهو سعيد:

- لم أنعم بدقيقة واحدة من الراحة منذ أن تودّعنا في المرفأ، ولكن ها أنا هنا من جديد . هذه الليلة ليلتنا.

أحسّت بأنّ الأرض تَنْخَسِفُ تحت قدميها، لكنّها ظلّت ثابتة الجَنان.

قالت له بلطف فيه حذر:

- لقد كنتَ في المركب مثالِيًّا في كلّ شيء ويبدو أنّ العمر أتاك برجاحة العقل.

- وهو كذلك فعلًا، ولكن لا تظنّي أنّني سعيد بهذا الأمر.

رفضت أن يطلب لها الشمبانيا وقالت له إنّ رأسها يؤلمها بسبب الغداء الذي تناولته في العبّارة، وإنّها تحسّ في حلقها بغثيان رهيب. فطلب هو لنفسه كأسًا كبيرة من الويسكي بالثلج، أمّا هي فقد اكتفت بقرص من الأسبرين، تناولتْه وكأنّه قرصٌ من السمّ.

افتُتح برنامج السهرة الموسيقيّ بثلاثيّ متخصّص في أغاني فرقة **لوس بانتشوس**، لكنّ أحدًا من الحضور لم يعرْهم انتباهًا، وكان أكيلِس كُرُنادو أوّلهم. باح لآنا مجدلينا بشغفه الذي نما في صدره نحوها منذ المراهقة، وأقرّ لها بأنّه لا يحسّ بالسعادة وهو

يمارس الحبّ مع زوجته في الظلام إلّا إذا فكّر فيها. بدأت تماطله كي يشرب أكثر، وكانت تعلم أنّ كأس الويسكي التي بين يديه ليست بكأس الاستمتاع، وأنّ كلّ كأس يتجرّعها وراء الأخرى سوف تجرّه حتمًا إلى الهاوية، فتركتْه يشرب ويتهاوى إلى القاع وحيدًا. كان يعلم أنّها لن تتكرّم عليه أبدًا بمجاملته، مع ذلك فقد توسّل إليها أن تمضي معه إلى السرير دقيقة واحدة، دقيقة واحدة لا غير، كي يقبّلها وهي بملابسها. ومن دون أن تدري آنا مجدلينا ما كان عليها أن تقول له فعلًا، قالتْ:

– هذا إثم مميت بين الأصدقاء.

– أنا جادٌّ في ما أقول، قال بعدما أحسّ بالإهانة من سخريتها، ثمّ أضاف وهو يخبط الطاولة بقبضة يده: اللّعنة!

تجاسرت على أن تنظر إلى عينيه فتأكّدت ممّا أحسّت به في صوته: كان يذرفُ دموعًا غزيرة. وحينذاك نهضت عن الطاولة من دون أن تنبس ببنت شفة، وعادت إلى غرفتها وأخذت تبكي قهرًا في السرير.

ولمّا استعادت سكينتها، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة. كان رأسُها يُؤلِمُها، لكنّ إضاعتها للّيلة كانت تؤلمها أكثر. رتّبت هندامها قليلًا وخرجت من غرفتها عازمة على استرداد ما فاتها. تناولت كأسًا من الجنّ الممزوج بالصودا وهي جالسة على أحد كراسي البار المقابل للحديقة، وقد غادرها السيّاح

الذين كان عليهم الاستيقاظ باكرًا. أتى إلى البار شابٌّ مُخنّثٌ، منفوخُ العضلات، تزيَّنَ بأطواق وأساور من الذهب، شعره ذهبيّ اللون وبشرته مُحمرّة من كثرة المراهم الواقية من الشمس، فتناول مشروبًا فوسفوريّ اللون. تساءلت آنا مجدلينا إنْ كان بوسعها أن تراود النادل عن نفسه وتستدرجه، إذ كان شابًا وسيما، حَسَنَ القوام، لكنّها أجابت نفسها بـ«لا». ثمّ وصل بها الأمر إلى أن تساءلت إن كانت قادرة على الخروج إلى الشارع وإيقاف السيّارات حتّى تجد الرجل الذي يسدي لها معروفا ويُفرحُها في شهر آب، لكنّ جوابها كان نفسه: «لا». كانت إضاعة الليلة تعني إضاعة العام، لكنّ الساعة كانت تشير إلى الثالثة فجرًا ولم يعدْ أمامها من سبيل: لقد أضاعتْها.

في تلك السنوات الثلاث الأخيرة طرأت على علاقتها بزوجها تقلّبات ملحوظة، كانت تتجلّى في سلوكها تبعًا للحالة المعنويّة التي تعود بها من الجزيرة. كان رجل العشرين دولارًا يثير بذكراه في نفسها المرارة، لكنّه فتح عينيها على حقيقة حياتها الزوجيّة القائمة حتّى ذلك الحين على سعادة تقليديّة تحجب ما فيها من تناقضات كي لا تتعثّر بها، وذلك مثلما تحجب السجّادة نُثَرَ الفضلات تحتها. لم يسبقْ قطّ أنْ كانا أكثر سعادة ممّا في ذلك الحين، إذ كانا يتفاهمان على أيّ شيء من دون حاجةٍ إلى الكلام، ويغرقان في الضحك من شيطناتهما الخاصّة بهما، ويمارسان الحبّ بجنون كأنّهما مراهقان.

انحلّت مسألة مصير الابنة بيُسر وبلا عجل، إذ ودّعها الجميع في سهرة حميمة دُعِيَ إليها عازف الجاز مع خطيبته الجديدة. وارتجل دومينيكو معه مجموعة من ألحان بيلا بارتوك، انتقاها شخصيًّا وجرت في حوار بين البيانو والساكسوفون، فأحسّ الحاضرون جميعهم بأنّهم أصدقاء قدامى منذ اللحظة الأولى.

سلّموها لرهبانيّة **الأخوات الكرمليّات الحافيات** أثناء القدّاس الاعتياديّ في الدير. وللمناسبة ارتدت آنا مجدلينا وزوجها ملابس سوداء كما لو كانا ذاهبين إلى مأتم، أمّا ميكائيلا فقد وصلت متأخّرة عن الموعد ساعة كاملة، إذ أتت ولم تكن قد نامت تلك الليلة، وكانت ترتدي ثوب الويبيل الذي أحضرتْه أمّها من الجزيرة، وتنتعل حذاءها الرياضيّ الأبديّ، وتحمل في يدها حقيبةً وضعت فيها أدوات التزيّن وألبومًا موسيقيًّا لِفان موريسون، أهداها إيّاه أحدهم في اللحظات الأخيرة. رحّب بها خوريٌّ كاد أن يبدو مراهقًا في مظهره، وكان مصفرّ البشرة، ذراعه ملفوفة بالجبس، فألقى عظة احتفاليّة ذكّرها فيها بفرصتها الأخيرة في التراجع عن قرارها إنْ لم تكن واثقة من مَيْلها إلى حياة الرهبنة. كان بِودّ آنا مجدلينا أن تعبّر عن مشاعرها حيال ابنتها وتذرف الدموع وداعًا لها، لكنّها لم تتمكّن من تحقيق رغبتها في هذا الجو الاحتفاليّ الرسميّ.

كانت حياة آنا مجدلينا قد تبدّلت بعد مغامرتها الثالثة. فلدى

عودتها إلى المنزل أحسّت بأنّ زوجها بدأ يطرح عليها أسئلة عن لياليها في الجزيرة، وأراد لأوّل مرّة أن يعرف بمن التقت فيها. كان بوسعها أن تقصّ عليه الوقائع الكاملة عن لقائها بالدكتور أكيلِس كُرُنادو، حيث إنّه يعلم بمضايقاته الخرقاء لها، لكنّها امتنعت عن فعل ذلك في الوقت المناسب كي لا تمنحه حجّة أخرى في أن يظلَّ يفكّر بلياليها في الجزيرة.

صار فعلُ الحبِّ بين الزوجين مختلفا أيضا، إذ تبدّل دومينيكو في السرير وأصبح كثير الاضطراب، قليل الشهوة، بعد أن كان فحلًا، ماهرًا. لم تَعْزُ آنا مجدلينا تبدّل قدرات زوجِها إلى تقدّمه في السنّ، بل إلى بعض الشكوك التي يمكن لها أن تساوره بخصوص لياليها في الجزيرة. لكنّ فكرةً أخرى أكثر حصافة خطرت في بالها وقلبت الوضع، إذ بدأت تعتقد بأنّه يبدّد طاقاته في سرير آخر، خارج المنزل.

كانت آنا مجدلينا قد تعوّدت عليه وأصبحت مثله، أمّا هو فقد استوعبها تمامًا، وبذا انتهى بهما الأمر إلى أن يبدُوَا كيانًا واحدًا. وقبل زواجهما حذّرها بعضُهم من طباع خطيبها، لا سيّما من مقدرته على إغراء النساء وإغوائه الكاسح لهنّ، خصوصًا مع طالباته في الكونسرفاتوار. لكنّها لم تُعِرْ تلك الشائعات أذنًا مُصغِية، ولم تَدَع الشكّ به يتسرّب إلى نفسها. مع ذلك، فعندما اتّفقا على الخطوبة لم تستطِع مقاومة فضولها، فسألتْه عن حقيقة

تلك الشائعات، لكنّه أجابها نافيًا إيّاها جملةً وتفصيلًا، بل وقال لها مازحًا إنّه بتولٌ، وذلك بظرافة حتّى إنّها تزوّجتْه وهي تحلم في أن يكون ما قاله صحيحًا.

ولم تُصَبْ بالاضطراب من أيّ شيءٍ إلّا قبل ولادة ابنتهما بقليل، حينما التقت بها في أحد المسابح العموميّة صديقةٌ من صديقات مدرستها اللواتي كانت لا تراهنّ منذ أعوام، فسألتْها الصديقة كيف توصّلت إلى تمكين زوجها من أن يقطع علاقته مع خطيبته التي يعرفها منذ المراهقة. أوقفتْها آنا مجدلينا عند حدّها، ولم تمحُها من حياتها وحسب، بل إنّها ابتعدت عنها أكثر، مثلما ابتعدت أيضًا عن أحسن صديقاتها الأخريات اللواتي كانت دائمًا تحافظ على مسافة بينها وبينهنّ.

في تلك الآونة كانت مبرّرات ثقتها بزوجها تبدو لها قاطعة، لا تقبل الجدال. ومع أنّه لم يكن يفصلها عن موعد الولادة سوى أقلّ من شهرين، فلم يتناقصْ عدد المرّات التي كانا يمارسان فيها الحبّ، كما أنّ جذوته لم تَخْبُ قطّ في قلبيهما. وهكذا كان من المُحال بيولوجيًّا أن تبقى لديه طاقة لسرير آخر، بعد أن يطفئ لهيب رغبتها الجامحة بسبب الحَبَل. مع ذلك، فقد وضعتْه ذات مرّة أمام مسؤوليّاته، لمّا ظلّتِ الشائعات تحوّم حوله، فحذّرتْه بقسوة:

- إن دَريْتُ بأيّ شيء عنك، فلا تَلُمْ سوى نفسك.

ولم تشهدْ علاقتهما أيّ حادثة أخرى إلّا بعد رجوعها من مغامرتها الثالثة، يومَ تَشَفَّت منه لاشتباهها في أنّه يخونها. كانتِ الدلائل على ذلك قويّة، فقد صار دومينيكو يتأخّر في العودة إلى المنزل إلى ما بعد الموعد الرسميّ لإغلاق الكونسرفاتوار بكثير، وحينما يعود، يقصد الحمّام فورًا ليتعطّر قبل أن يسلّم على أحد كي يخفي بعطره المعروف رائحة أيّ عطر غريب، ثمّ يستفيض بالشرح عن المكان الذي كان فيه وعمّا فعل ومع من كان، من دون أن يسأله أحد عن ذلك كلّه. وذات ليلة، بعد حفلة ساهرة كبيرة مع الأصدقاء لاقى فيها الزوج إعجابًا كبيرًا من الحاضرات، قرّرت آنا مجدلينا أنْ تواجهَهُ. كان يقرأ في السرير نوتةَ أوبرا ***كوزي فان توتي***، أمّا هي فكانت قد أنهت قراءة رواية ***وزارة الخوف*** التي بدأت بها في الجزيرة، فأطفأت مصباح السرير من جهتها واستدارت نحو الحائط من دون أن تتمنّى له ليلة سعيدة، جريًا على عادتهما. فما كان منه إلّا أن قال لها بظرافة:

– ليلة سعيدة يا سيّدة!

تنبّهت إلى أنّها أخطأت في طقسهما المعتاد، فسارعت إلى إصلاح الخطأ.

– آه، أنا آسفة يا حبيبي، قالتْ، ثمّ قبّلتْه قبلة ما قبل النوم اليوميّة وتمنّت له ليلة سعيدة. وأخذ الزوج ينغّم النوتة بهمس كي تدعها تنام.

فجأة، وهي لا تزال تُدير ظهرها له، قالتْ:

- دومينيكو، صارِحْني بالحقيقة لأوّل مرّة في هذا العمر.

كان يعلم أن ذكرَ اسمه الشخصيّ على لسانها علامةٌ على هبوب العاصفة، فاستعجلها بهدوئه المعهود وقال:

- ماذا وراءك؟

ردّت عليه بسرعة أيضًا:

- كم مرّة خنتَني في حياتك؟

- خيانة فعلًا، ولا مرّة. أمّا إذا كنتِ تريدين معرفة إنْ كنتُ قد نمتُ مع امرأة أخرى، فقد نبّهتِني منذ أعوام إلى أنّك لا تريدين معرفة ذلك، أجاب.

بل وأكثر من هذا: عندما تزوّجا، كانت قد قالت له إنّه لا يهمّها إن نام مع امرأة غيرها، شريطة ألّا تكون هذه المرأة هي نفسها دائمًا، وألّا يحدث ذلك معها لأكثر من مرّة واحدة فقط. لكنّها في ساعة الجدّ ضربت صفحًا عن كلّ ما كانت قد قالتْه.

- هذه أشياء تقولها النساء بلا تبصّر، ولا يجب أن تُفْهَمَ بحَرْفِيَّتِها، قالت.

- إنْ أجبتُكِ نافيًا، فأنا واثق أنّك لن تصدّقيني، وإن أجبتُكِ مؤكّدًا، فإنّك لن تحتملي جوابي. فكيف نحلّ هذه المعضلة؟ سألها.

كانت تعلم أنّ أيّ رجل، مهما يكن طبعه، لن يقلّب أمرًا كهذا وبهذه الطريقة كي يجيب بالنفي، فعاجلتْه قائلة:

- ومن كانت سعيدة الحظ؟

أجابها بسلاسة عفويّة:

- امرأة في نيويورك.

فبدأت ترفع صوتها:

- من هي؟

- امرأة صينيّة.

أحسّت بأنّ قلبها انكمش مثل قبضة اليد، وندمت على إثارة ذلك الألم الذي لا فائدة منه، لكنّها أصرّت رغم ذلك على معرفة كلّ شيء بالتفصيل. أمّا هو فقد ارتأى أنّ الأسوأ في الأمر قد مرّ ومضى، فقصّ عليها الحادثة على مضضٍ وهو يتحدّث بحذرٍ.

كان قد نزل في أحد فنادق نيويورك منذ زهاء اثنتي عشرة سنة مع أعضاء الأوركسترا خلال نهاية الأسبوع، بغية المشاركة في مهرجان فاغنر الموسيقيّ. وكانت المرأة الصينيّة عازفة الكمان الأوّل في أوركسترا بكّين، وقد نزلت في الطابق نفسه الذي كان هو فيه. ولمّا انتهى من سرد الحادثة، أحسّت آنا مجدلينا بجروح غائرة في لحمها، فتمنّت أن تقتلهما معًا، لا بِرَمْيَةٍ واحدةٍ رحيمةٍ، بل بتقطيعهما على مهلٍ إلى رقائق شفّافة بماكينة تقطيع اللحم المقدّد. لكنّها عضّت على جروحها وطرحت عليه سؤالًا كان يحيّرها:

- وهل دفعتَ لها أجرًا؟

أجابها بالنفي، مؤكّدًا أنّها لم تكن عاهرة، فأبدت آنا مجدلينا إصرارها.

- وكم كنت ستدفع لها، لو كانت عاهرة؟

فكّر بالأمر جدّيًا ولم يعلم بِمَ يجيب.

فقالت بصوت مخنوق من الغيظ:

- لا تتظاهر بالغباءت . أتريد إقناعي أنّ الرجال لا يعرفون كم تكلّف عاهرةٌ في أحد الفنادق؟

كان صادقًا في جوابه.

- الحقّ أقول لكِ إنّني لا أعلم، لا سيّما إذا كانت صينيّة.

وحينذاك أخذت تُضَيِّق عليه الخناق وهي تحسّ بانزعاج هائل.

- حسنًا، إذا كانت ظريفة ولطيفة معكَ وأردتَ أن تترك لها ذكرى جميلة منكَ، فكم تترك لها بين صفحات كتابها؟

- كتابها؟ قال بدهشة. العاهرات لا يقرأن الكتب.

قالت وهي تحاول أن تكبح جماح غيظها:

- قل لي أيّ شيء، اللعنة. كم تترك لها إن اعتقدتَ أنّها عاهرة ولم ترغبْ في إيقاظها من النوم قبل مغادرتك؟

- لا أعلم أبدًا.

- عشرين دولارًا؟

أحسّ بضياع بوصلته في غياهب سؤالها.

- لا أعلم. بالنّظر إلى كلفة المعيشة منذ اثنتي عشرة سنة، ربّما يكون المبلغ الذي ذكرتِ كافيًا.

أغمضت عينيها وهدّأت أنفاسَها حتّى لا تمنحه المسرّة في أن يلحظ غضبها، ثمّ سألتْه فجأة:

- وهل كان ما بين ساقيها أفقيًّا؟

لم يستطِعْ أن يقاوم الضحك، وضحكت هي معه أيضًا. لكنّها كفّت عن ضحكها فجأة إذ اضطرّت لأن تُغمض عينيها كي تحبس دموعها.

قالت ويدها على صدرها:

- إنّني أضحكُ فعلًا، لكنّي لا أتمنّى لك أبدًا أن تحسّ بما أحسّ به هنا، في أعماقي: إنّه الموت.

حاول أن يتجاوز اللحظة الصعبة بنغمات ارْتجلها بصوته ارتجالًا. أمّا هي فقد حاولت إرغام نفسها على النوم، لكنّها لم تستطعْ. وأخيرًا فرّجت عن نفسها صائحة بصوت عالٍ كي يسمعها حتّى وإن كان نائمًا. فقالت:

- اللعنة. إنّ الرجالَ كلّهم متشابهون: حُثالة.

اضطرّ الزوج لأنْ يكظم غيظه. ولم يكنْ لِيُمانِع في أنْ يخسر كلّ ما يملك مقابل أنْ يُفحمَها بجواب حاسم، لولا أنّ الحياة علّمته أنّ كلّ ما يُقال، بعد أنْ تقول المرأة كلمتها الأخيرة، هو محض هراء. وهكذا كفّا عن الكلام، ولم يعودا لِيتطرّقا إلى هذا الموضوع، لا حينذاك ولا في أيّ وقت آخر فيما بعد.

5

كان مُقَدَّرًا لآنا مجدلينا باخ أن تعيش تفاصيل ليلة السادس عشر من شهر آب التّالي. وجدت الجزيرة في حالة من الاضطراب بسبب انعقاد مؤتمر دوليّ فيها حول السياحة، وليس في فنادقها أيّ غرفة شاغرة، وشواطئها مشغولة بخيام المصطافين وكَرَفاناتهم. وبعد أن بحثت طوال ساعتين عن مكان ما تبيتُ فيه ليلتها، لم تجد بدًّا من اللجوء أخيرًا إلى فندقها المنسيّ القديم، فندق السيناتور، فرأتْه مُرمّمًا ونظيفًا، لكنّه كان أغلى سعرًا، وخاليًا من عمّاله القدامى جميعًا.

لم يكن في الاستقبال مَنْ يمكن اللجوء إليه للعثور على غرفة. وفوق ذلك كان هناك زبون مُحتَرم الهيئة، يحتجّ غاضبًا لأنّ حجزه الذي أكّده مرّتين لا يظهر على لائحة حجوزات الفندق.

كان رصين المظهر، كأنّه مدير مدرسة كامل الأوصاف، وصوته هادئ، عذب، ويتحلّى بموهبة مدهشة بالشتائم المهذّبة. كان موظّف الاستقبال الوحيد يحاول أن يجد له على الهاتف غرفة في فندق آخر. توجّه هذا الزبون إلى آنا مجدلينا، وكلّه لهفة لأن يشاركه أحدٌ ما غضبه. «إنّ هذه الجزيرة كارثة»، قال،

وأراها الإثبات الرسميّ لحجزه المؤكّد. لم تتمكّن من قراءته بلا نظّارات، لكنّها أبدت تفهّمها لسخطه. وأخيرًا، قاطعهما الموظّف بأنْ زفّ له الخبر السعيد بعثوره على غرفة شاغرة في فندق من فئة النجمتين، لكنّه نظيف وموقعه حسن. سارعت آنا مجدلينا إلى القول:

- ألا توجد في هذا الفندق غرفة أخرى لي؟

عاود موظّف الاستقبال الاتصال بالفندق إلّا أنّ الجواب جاء بالنفي. وحينذاك أمسك الزبون حقيبته بيده اليسرى، وبالأخرى أمسك ذراع آنا مجدلينا بألفة غير اعتياديّة، بدا لها أنّه تجاوز بها حدوده بعض الشيء.

- هيّا بنا وهناك نرى، قال لها.

ركبا معًا في سيّارة جديدة أخذ يقودها هو بمحاذاة ضفّة البحيرة تمامًا. وقال لها إنّ فندق السيناتور جميل ويُعجبه.

- وأنا أيضًا يُعجبني، لإطلالته على البحيرة، كما أرى أنّه رُمِّمَ الآن، قالت.

- منذ عامين، قال.

أدركت أنّه زائر مواظب على زيارة الجزيرة، فأخبرتْه بأنّها هي أيضًا تأتي إلى الجزيرة بانتظام منذ عدّة سنوات، وذلك كي تضع باقة من الزنابق على قبر أمّها.

- زنابق؟ سألها بدهشة، إذ لم يكن يعلم أنّ الزنابق توجد في الجزيرة. كان يظنّ أنّها لا توجد إلّا في هولندا.

- ما في هولندا هو أزهار التوليب، قالت موضحة.

ثمّ أوضحت له أيضًا أنّ الزنابق ليست كثيرة الشيوع في الجزيرة، إلّا أنّ أحدًا ما زرعها فيها، فلاقت نجاحًا لا بأس به في مدن الساحل وبعض القرى الداخليّة. وأكّدت له أنّ الزنابق مهمّة في نظرها كثيرًا حتّى إنّها يوم تختفي من الجزيرة ستبذل كلّ ما في وسعها كي يزرعها لها بستانيّ ما.

بدأت السماء تمطر رذاذًا، لكنّ مطرها لم يكن واعدًا بأنه سيطول. أمّا هو فكان يعتقد العكس لأنّ جوّ شهر آب دائم التقلّب في نظره. تفحّصها من رأسها حتّى أخمص قدميها، بملابسها البسيطة التي أتت بها بالعبّارة، وارتأى أنّها تحتاج إلى المزيد من الأناقة لزيارة المقبرة، لكنّها طمأنتْهُ بأنّها معتادة على زيارة أمّها بملابسها تلك.

وحتّى يبلغا الفندق، كان لا بدّ له من أن يظلّ يقود السيارة بالقرب من ضفة البحيرة، وصولًا إلى تخوم قرية الفقراء. وكانت مكانًا مثيرًا للحزن، بائسًا بوضوح لا يحتاج إلى الوصف أو الكلام. وحينما تسلّم الزبون المفتاح من البوّاب، أوضح له أنّه طلب غرفتين.

أجاب البوّاب حائرًا:

- عفوًا. ألستما معًا؟

قال الزبون بظرافته العفويّة:

- إنّها زوجتي، إلّا أنّنا اعتدنا أنْ ننام في غرفتين منفصلتين تقيّدًا بقواعد الصحّة والنظافة.

وَحَذَت آنا مجدلينا حَذْوه:

- وكلّما كانتِ الغرفتان متباعدتين، كان ذلك أفضل.

أقرّ البوّاب بأنّ سرير الغرفة ليس بالعريض فعلًا، لكنّه أكّد أنّ بوسعه أنْ يزوّدهما بسرير إضافيّ. أُصِيب الزبون بصدمة من الذهول لكنّ آنا مجدلينا أيقظتْه منها.

- لو سمِعْتَه وهو يشخر، لما عرضتَ عليّ السرير، قالت للبوّاب.

اعتذر البوّاب منهما وتفحّص المفاتيح المعلّقة على اللوح الخشبيّ، بينما كانا هما يتبادلان نظرات السرور لنجاح لعبتهما. وأخيرًا قال إنّ بوسعه أن يتدبّر لهما غرفة أخرى، لكنّها في طابق آخر ولا تطلّ على البحيرة. وهكذا حصلا على غرفتين إحداهما في الطابق الثاني والأخرى في الرابع. استقلّا المصعد من دون رفقة الحمّال، ذلك أنّ متاع كلّ منهما كان خفيفًا، فنزلت آنا مجدلينا في الطابق الثاني وهي في غاية الامتنان والسرور لتعرّفها إلى هذا الرجل الشديد اللطف والظرافة.

كانتِ الغرفةُ ضيّقةً وفيها أبّهة قَمَرات المراكب البحريّة، لكنّ السرير كان كبيرًا وكأنّه مخصّص لثلاثة أشخاص، فبدا مثل العلامة المميّزة لفنادق الجزيرة. فتحت النافذة كي يتجدّد هواء

الغرفة الراكد، فأحسّت على الفور بمدى اشتياقها إلى أزهارها في شهر آب الطلق، وحنينها إلى طيور مالك الحزين الزرقاء المستوطنة في البحيرة. كان المطر لا يزال يهطل، لكنّها أَمِلَت بهدنة منه كي تصل إلى المقبرة قبل الساعة السادسة.

وهكذا كان. مع أنّها أضاعت أكثر من ساعة وهي تبحث عن الزنابق، فقد وجدتْها أخيرًا في إحدى البسطات أمام الكنيسة. ولم تتمكّن سيّارة التاكسي التي أقلّتها إلى المقبرة من الصعود إلى رأس التلة لسوء حالة الدرب، غير أنّ السائق ارتضى أنْ ينتظرها عند أحد المنعطفات إلى أنْ تعود. وفجأة تذكّرت أنّها ستبلغ عامها الخمسين في الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني المقبل، وهو السنّ الذي كانت تخشاه أكثر من غيره، فهو ليس أقلّ بكثير من السنّ الذي ماتت فيه أمّها. تخيّلت نفسها مثلما كانت منذ أعوام قليلة، وهي تنتظر انحباس المطر، فبكت مثلما بكت لمّا حملت باقة الزنابق إلى القبر أوّل مرة. لكنْ بدا وكأنّ بكاءَها هدّأ من غضب السماء إذ انحبس المطر فجأة، فوضعت آنا مجدلينا باقة الزنابق على القبر.

عادت إلى الفندق وهي ملطّخة بالوحل، مُعكّرة المزاج، وسلّمت بَداهةً بأنّها أضاعت عامًا آخر، إذ بدا لها مستحيلًا أنْ تعثر على حبّها لهذه الليلة، حتّى وإنْ أوقفتِ السيّارات في المنحدر الذي تحوّل تحت المطر إلى مستنقع مريع من الطين.

لم يتبدّل أيّ شيء في الفندق، فالدوش كان كالمعتاد بلا مِرَشّة وماؤه يسيلُ نحيلًا؛ وفيما أخذت تبلّل جسمها بالصابون تحتَ خيط الماء الرفيع أَلْفَت نفسها وحيدة، بلا رجل يتكرّم عليها بالحنان، فعادت إلى البكاء. لكنّها لم تستسلمْ: قرّرت أن تخرج على أيّ حال لترى ما تخبّئه لها تلك الليلة من مخاطر وتحدّيات. علّقت ملابسها على المشجب وتناولت الكتاب عن الطاولة، وكان ***يوميّات عام الطاعون*** لدانيال ديفو، ثمّ تمدّدت في السرير وأخذت تقرأ ريثما تحين لحظة الذهاب إلى البار. إلّا أنّ كلّ شيء بدا مُعدًّا سلفًا كي لا تنال نصيبها من السعادة. كان خيط الماء الرفيع في الدوش قد عمّق من إحساسها بالبؤس أكثر، واجتاحت كيانَها موجة من الكراهية لزوجها، كانت عاتيةً وباردةً حتّى إنّها أثارت في نفسها الخوف. ولمّا رنّ الهاتف، كانت قد استسلمت لقدَرها المشؤوم في أن تنام وحيدة في تلك الليلة التعيسة.

- مرحبًا، قال بصوته المرح الذي عرفتْه على الفور، أنا صديقكِ المقيم في الطابق الرابع. ثمّ أضاف بنبرة مختلفة: كنتُ أنتظر منكِ ردًّا ولو من باب الإحسان. وبعد لحظة طويلة من الصمت، سألها: أَما تَلَقَّيت الأزهار؟

لم تفهمْ كلامه وأوشكت أنْ تسأله عن قصده لمّا وقعت عيناها على باقة من الزنابق وُضِعَت كيفما اتّفَقَ على كرسيٍّ بجانب كومودينة التزيّن. أوضح لها الرجل أنّه شاهد الباقة مصادفةً في

الفندق الذي كان يجتمع فيه بزبائنه، فبدا له طبيعيًّا أنْ يرسلها لها كي تُزَيِّن بها قبر أمّها. ولم تنتبه إلى أنّها أُحضِرَت إلى الغرفة حينما كانت هي في المقبرة، ولم تستبعدْ أبدًا أنْ تكون هناك من قبل. وفجأة سألها بشكل عرضيّ:

- أين ستتناولين طعام العشاء؟

- لم أفكّر في الأمر، قالتْ.

- حسنًا، أنتظركِ في الاستقبال كي نفكّر معًا أين نذهب.

قالت في سرّها، ليلة خائبة أخرى؟ ومع أكيلس اخر؟ لا.

- آسفة، لا أستطيع، فلديّ موعد هذا المساء.

- وأنا آسفٌ أيضًا، وأُحِسُّ بالأسف فعلًا.

- نلتقي في مرّة قادمة، إنْ شاءتِ الأقدار، قالت.

رتّبت هندامها أمام المرآة. كانت قد فكّرت في الذهاب إلى المكان الذي تناولت فيه طعام العشاء مع أكيلِس كُرُنادو في تلك الليلة البائسة، لكنّ المطر اشتدّ وأخذت الريح تعوِل فوق البحيرة. وفجأة صاحت بينها وبين نفسها: «يا إلهي، ما أقساني!».

هَرَعَت إلى الهاتف واتّصلت بالرجل المقيم في غرفة الطابق الرابع على عجلٍ كان من شأنه أن يثير في نفسها الخجل لاحقًا. قالت له من دون مقدّمات:

- يا لحظّي السعيد! لقد أُلغِيَ موعدي بسبب المطر.

- أنا صاحب الحظّ السعيد يا سيّدتي، قال.

لم يساورْها الشكّ لحظة في ما قال، ولم تخطئْ إذ كانت فعلًا ليلة لا تُنْسى.

سوف تبقى تلك الليلة راسخة في ذاكرة آنا مجدلينا أكثر ممّا كان لها أنْ تتصوّر. أمضت أمام المرآة وقتًا أطول من اللازم لترتيب هندامها، وكان الرجل ينتظرها عند المصعد بلباقة وقد ارتدى قميصًا من الحرير وبنطالًا من الكتّان، وانتعل خُفًّا من الجلد الأبيض. تأكّد لها انطباعها الأوّل بأنّه جذّاب ويتحلّى بميّزة كبيرة في سلوكه وكأنّه جاهل بجاذبيّته. قادها إلى مطعم بعيد عن الأماكن التي تعجّ بالسيّاح، توزّعت طاولاته تحت أشجار اللوز الكبيرة المزيّنة بالأنوار، وفيه فرقة موسيقيّة ألحانها تصلح للأحلام أكثر ممّا تصلح للرقص. دخل معتدًّا بنفسه فاسْتُقْبِلَ استقبالًا لائقًا كأنّه زبونٌ قديمٌ، حتّى إنّه هو ذاته تلبّس الدور. اكتست حركاته مزيدًا من الكياسة في ألق الليل، وطفق ينضح من رأسه حتّى أخمص قدميه بعبير أنفاسه المحمّلة برائحة الكولونيا التي تعطّر بها منذ قليل، وصار حديثه سلسًا وعذبًا، لكنّ آنا مجدلينا أحسّت بالارتباك قليلًا، إذ بدت وكأنّها تتكلّم كي تكتم ما في أعماقها أكثر ممّا كي تُفصِح عمّا فيها.

أثار في نفسها الدهشة لقلّة خبرته في المشروبات إذ انتظرها كي تختار بنفسها مشروب الجنّ المعتادة عليه، قبل أنْ تطلب له الويسكي التي لم يكترثْ لماركتها ولم يذُقْ منها قطرة طوال

السهرة. لم يكن مُدَخِّنًا لكنّه كان يحمل علبة سجائر مصريّة، مذهّبة الورق، لا يستعملها إلّا عند تبادل الأنخاب. كما أنّه لم يكن خبيرًا في فنون المائدة، إذ ترك النادل يختار لهما أطباق الطعام. إلّا أنّ الأكثر إدهاشًا فيه هو أنّه لم يفقد ذرّة واحدة من سحره رغم نقائصه وأغلاطه، وذلك حتّى حينما ألقى على مسمعها بعض النكات التي كانت شديدة السذاجة والغرابة، حتّى إنّها لم تتمكّن هي من فهمها واضطُرّت لإبداء سرورها بها مجاملة.

ولمّا عزفتِ الفرقة الموسيقيّة مقطوعة لآرون كوبلاند في توزيع ملائم للرقص، أقرّ بأنّ المقطوعة لم تلفت انتباهه لأنّه أصمّ حيال الموسيقى، لكنّه تجرّأ ورقص مع آنا مجدلينا حينما دعتْه إلى الحلبة. لم يُفلِح ولا في خطوة واحدة، لكنّها ساعدتْه على نحو جيد حتّى ظنّ أنّ الفضل في نجاح أدائهما يعود إليه. وأثناء تناول الحلوى بعد العشاء أحسّت بملل شديد حتّى إنّها لعنت ضعفها، وزادت من لعنِه لمّا رأت رجلًا مرّ أمامها وأثار إعجابها وكانت على استعداد لاختياره وهي مغمضة العينين، بينما مُضيفها رجل شديد الاحتشام ولا يخطئ في أيّ خطوة إلّا في الرقص. أحسّت بالارتياح، كما أحسّت بأنّها تلقّت معاملة حسنة أيضًا، إنّما في ليلة لا أمل فيها.

وحالما انتهيا من تناول الحلوى، حملها راجعًا إلى الفندق وهو يقود سيّارته بصمت، شاردًا بنظره صوب البحر الغافي

تحت قمر خلّاب، ولم تعكّر آنا مجدلينا صفو شروده. كانتِ الساعة تشير إلى الحادية عشرة وعشر دقائق، فحتّى بار الفندق لا بدّ وأن يكون قد أغلق أبوابه. كان أكثر ما أثار سخطها هو أنّها لم تتمكّن من مؤاخذة مضيفها على أيّ شيء، فعيبه الوحيد هو أنّه لم يحاول حتّى مجرّد إغوائها: لم يقُلْ لها كلمة ثناء واحدة في عينيها المتألّقتين مثل عيني اللّبُؤَة، ولا في طلاقتها بالكلام، ولا في معرفتها بالموسيقى.

أوقفَ السيّارة في الفناء المقابل للفندق، ثمّ رافق آنا مجدلينا في المصعد بصمت مُطلَق حتّى باب غرفتها. ارتبكت في استعمال المفتاح، فانتزعه منها وفتح الباب برؤوس أصابعه، ثمّ دخل بلا دعوة ولا استئذان كأنّه يدخل منزله، وارتمى على ظهره فوق السرير شاهقًا من أعماق نفسه:

– هذه ليلة العمر!

تسمّرت آنا مجدلينا في مكانها، لا تدري ما يجب عليها أنْ تفعل إلى أنْ مدّ لها يده بصمت، فمدّت له يدها أيضًا واستلقت إلى جانبه وهي تحسّ بالدُّوار من شدّة خفقان قلبها. وحينذاك قبّلها قبلة بريئة ارتعشت منها حتّى أعماق كيانها، ثمّ ما انفكّ يقبّلها وهو ينزع عنها ملابسها قطعةً قطعةً بمهارة عجيبة من أطراف أصابعه، إلى أنْ غرقا معًا في دوّامة السعادة.

وحينما فتحت آنا مجدلينا عينيها في غبش الفجر، لم تكنْ

واعية بنفسها. ولم تكنْ تعلم أين كانت ولا مع مَنْ، إلى أنْ رأت الرجل إلى جانبها، عاريًا تمامًا، نائمًا على ظهره وذراعاه متصالبتان على صدره، تتردّد أنفاسه في صدره مثل الطفل في المهد. داعبت بسبّابتها الرقيقة تجاعيد جلده الذي لوّحه تقلّب الأجواء. لم يكن جسمُه جسمَ شابٍّ، لكنّه كان قد حافظ عليه جيّدًا، واستمتع بمداعباتها من دون أنْ يفتح عينيه، وتلذّذ بها بالثبات نفسه الذي تحلّى به طوال السهرة إلى أن بلْبلهٌ نداء الحبّ.

سألها فجأة:

- والآن أخبريني بجدٍّ، ما اسمُكِ؟

- بِربيتُوَا.

- هذا اسم قدّيسة بائسة ماتت دَوسًا بقوائم إحدى الأبقار، قال في الحال.

سألتْه مدهوشةً من أين له أن يعرف ذلك.

- أنا أُسْقُف، قال.

ارتعشت ذاهلة كما لو أنّ رياح المنيّة داهمتْها. وعلى الفور استذكرت تفاصيل العشاء وحديثه المُتكلّف وذوقه البالي، فلم تجد في ذلك كلّه ما يسمح لها بالشكّ أبدًا في صدق جوابه؛ بل أكثر من ذلك: كان جوابُه تأكيدًا قاطعًا للصورة التي كوّنتْها عنه أثناء العشاء. تنبّه الرجل إلى ذهولها، ففتح عينيه وسألها مستغربًا:

- وماذا لا يعجبك فينا؟

- ومن أنتم؟

- الأساقفة.

وأطلق قهقهة مجلجلة فرحًا بما ظنّه ظرفًا منه، لكنّه ما لبث أن أدرك أنّه كان تعجرفًا فظًّا، فسارع إلى غمر جسمها بِقُبَلٍ طويلة تعبيرًا عن ندامته. ثمّ قصّ عليها ما طاب له من قصّة حياته الحاليّة، ربّما تكفيرًا عمّا بدر منه. كان قد عمل في مهن كثيرة وليس لديه مسكن ثابت، لأنّه يعمل أساسًا في بيع عقود التأمين البحريّ لصالح شركة مقرّها في مدينة كوراساو، وعليه أن يتردّد على الجزيرة عدّة مرّات سنويًّا. في البدء كانت قدرته على الإقناع كبيرةً، حتّى إنّها أحسّت برغبتها في الاستسلام له، لكنّ يقينها بأنّ الوقت تأخّر كثيرًا لنيل السعادة ثلاث مرّات في الليلة عينها، حملها على تبديل رأيها.

- سوف تفوتني العبّارة، قالت.

- لا أهمّيّة للأمر، نعود سويّة غدًا.

أوْعدها بيوم حافل بالمسرّة، فضلًا عن أيّام كثيرة أخرى في المستقبل، ذلك أنّه عليه أن يعود إلى الجزيرة مرّتين كلّ عام على الأقل، ويمكن لإحداهما أن تكون دائمًا في شهر آب. أصغت إليه متلهّفة، عسى أن يغدو كلامه حقيقة، لكنّها استجمعت قواها كي لا تبدو في عينيه امرأة سهلة المنال، كما يمكن له أنْ يتصوّر. وفجأة تنبّهت إلى أنّها على وشك تفويت العبّارة فعلًا، فقفزت

من السرير وودّعته بقبلة خاطفة، إلّا أنّه أمسك بها من معصمها، وقال بإلحاح:

- حسنًا، متى نلتقي مرّة أخرى؟

- لن نلتقي أبدًا، قالتْ، ثمّ ختمت كلامها بشيء من الدُّعابة: إنّها أوامر الربّ.

ركضت إلى الحمّام على رؤوس أصابع قدميها وأغلقتِ الباب وراءها بالمزلاج من دون أن تصغي إلى لائحة الوعود التي استمرّ في تعدادها وهو يُكمل ارتداء ملابسه.

وما إنْ فتحت ماء الدوش حتّى قَرَعَ باب الحمّام ليودعها وداعه الأخير.

- لقد تركتُ لك ذكرى هناك، في الكتاب، قال لها.

انصعقت ممّا سمعت وأحسّت بنذير الشؤم يباغتها، ولم تجرُؤْ على أنْ تشكره على ما ترك لها ولا أنْ تسأله عنه هلعًا من الجواب، لكنّها حالما سمعتْه يخرج، ركضت عارية وجسمها مبلّل بالصابون لتتفحّص الكتاب المرميّ على كومودينة السرير. ويا للفَرَجِ! فقد وجدت فيه بطاقةَ زيارتِه المهنيّة وفيها بياناته الشخصيّةَ الكاملة كي تعثر عليه مستقبلًا. لم تمزّقها كما كانت ستفعل من دون شكّ مع أيّ رجل آخر، إنّما تركتْها في مكانها حيث كانتْ، حتّى تتمكّن لاحقًا من وضعها في مكان آمن.

6

كان اليوم أربعاء من أيّام شهر آب الكاريبي المعهودة حيث هدأ البحر وطاب نسيم نوارسِه التي تلوذ بالماء. جرّت آنا مجدلينا باخ إحدى كراسي الاستجمام حتّى شرفة العبّارة وفتحت كتاب دانيال ديفو على الصفحة المُعلّمة ببطاقة الزيارة، لكنّها لم تستطعْ أنْ تركّز في القراءة. كما أنّها لم تجدْ حينذاك ما يلفتُ انتباهها في البيانات الفعليّة لرجل الليلة الفائتة، إذ لم تكن تفيد إلّا باسمه وجنسيّته الهولنديّين، إضافة إلى عنوان عمله، وفيه رقم هاتف من ستّ خاناتٍ لشركةِ خدماتٍ تقنيّة مقرّها في مدينة كوراساو. قرأَتْها عدّة مرّات وهي تحاول أنْ تتخيّل الحياة الفعليّة لشبح ليلتها السعيدة تلك. إلا أنّها، ومنذ لقائها بأوّل رجل لها في الجزيرة، كانت قد حرصت كلّ الحرص على ألّا تترك وراءها أيّ أثر يثير الشكوك في المنزل، لذا مزّقت البطاقة إربًا وأطعمتْها لنسيم النوارس، شريكِها في التستّر على فعلتها.

لقد كشفت لها عودتها من الجزيرة أشياء كثيرة، فمنذ أنْ دخلتِ المنزل في الساعة الخامسة مساءً تبيّن لها إلى أيّ مدى بدأت تحسّ بغربتها بين أفراد عائلتها. كانت ابنتها قد اندمجت

في حياة الدير من دون تعارض مع طباعها العفويّة، وشيئًا فشيئًا صارت أقلّ مواظبة على جلسات مائدة العائلة. وكذلك صار ابنها، إذ كاد لا يمتلك دقيقة واحدة من الفراغ لانشغالاته المتعدّدة بين علاقاته الغراميّة العابرة والتزاماته الفنّيّة في أماكن كثيرة من العالم. أمّا زوجها، فلشدّة ولعه بعمله، فضلًا عن إدمانه الإغراء والغزل في الوقت عينه، فقد انتهى به الأمر لأنْ يصبح ضيفًا عابرًا في سريرها. وعدا ذلك، كانتِ المفارقة الأغرب في نظرها إحساسها بنفسها كيف أخذت تفقد آمالها في الجزيرة لعدم عثورها على رجل موثوق بين الرجال العابرين كالريح، الذين التقت بهم هناك في لياليها القليلة. مع ذلك، فإنّ مصدر قلقها الأكبر لم يكن شكوكها بإخلاص زوجها لها، بل ذعرها من أنْ يستشعر هو بما كانت تفعله في لياليها المعدودة في الجزيرة. لذا فإنّها لم تكنْ تحدّثه عن رحلتها السنويّة إلّا لمامًا، كي لا يخطر في باله أنْ يرافقها، أو كي لا توقظ في نفسه شكوك الرجال، فهي الأقلّ حدوثًا عادةً لكنّها الأكثر صوابًا إن حدثتْ.

انقضتِ السنوات الهيّنة التي لم يكن لديهما فيها الوقت ولا الفرص الملائمة للخيانات أو الشبهات، والتي كانت آنا مجدلينا تحسب خلالها بدقّة متناهية مواعيد حبّهما الروتينيّ. ولم يكونا يغادران المدينة من دون أنْ تحمل هي في حقيبتها الواقيات الذكريّة تحسّبًا للمناسبات المباغتة. لكنّ آنا مجدلينا أحسّت

بالوخز في قلبها في تلك المرّة التي عاد فيها زوجها إلى المنزل وقد بدت عليه دلائل الخيانة الفاضحة، حتّى إنّه لم يُثِرْ في نفسها بغتة الشكوك الممكنة لذلك العام وحسب، بل شكوك الماضي بأسره. أخذت تراقبه وتتفحّص حتّى قاع جيوبه، ولأوّل مرّة بدأت تشمّ ملابسه المتّسخة التي يتركها على السرير. مع ذلك، وبدءًا من شهر أيّار، بدأ حلمها برجل العام السابق يقضّ مضجعها وصار قلقها بسببه خانقًا. ولعنت مرّة أخرى الساعة التي مزّقت فيها بطاقته، وأحسّت بعجزها عن الإحساس بالسعادة من دونه، ولو في الجزيرة حصرًا. وكان اضطرابها بيّنًا حتّى إنّ زوجها قال لها بلا مقدّمات:

- لستِ على ما يرام.

وفاقَمَ الفزع من أرَقِها فصارت لا تنام حتّى مطلع الفجر، ذلك أنّها هي نفسها لم تبدُ مدركة لمقدار التبدّل الذي بدأ يطرأ عليها منذ رحلاتها الأولى إلى الجزيرة. ولم يخطرْ قطّ في بالها خطر معاودة اللقاء مصادفةً بأحد الرجال الذين تعرّفت عليهم هناك، حتّى تلك الليلة المشؤومة التي تجاوز فيها صديقها أكيلِس كُرُنادو حدودَه في الشراب على العشاءِ في أحد الأعراس، ورمى بغير ظُرْفٍ أثناء حديثه بعض التلميحات التي تمكّن أكثر من أربعة أصدقاء حاضرين على الطاولة من فكّ طلاسمها وفهمها بلا كبيرِ عناء. وعدا ذلك، فإنها ذات يوم كانت تتناول طعام

الغداء مع ثلاثٍ من صديقاتها في أرقى مطعم في المدينة، تراءى لها أنّها تعرف أحد الرجلين اللذين ما انفكّا يتحدّثان بصوت خافتٍ جدًّا، على طاولة منزوية، مجاورة. كان أمامهما زجاجة من البراندي، وكأسُ كلٍّ منهما نصف مليئة، ويبدوان وحيدَين في عالم آخر. إلّا أنّ الرجل الذي كانت تراه مقابلها ارتدى بدلة من الكتّان الأبيض بالكامل، رائعة ولائقة عليه، وكان ذا شعر رماديّ، وشاربين مفتولين مثل شوارب الفرسان. ومنذ أن وقعت عيناها عليه للوهلة الأولى أحسّت بأنّها تعرفه، لكنّها رغم الجهود التي بذلتْها لم تستطع أنْ تتذكّر مَنْ كان ولا أين رأتْه من قبل. وأكثر من مرّة شردت عن الحديث المشوّق مع صديقاتها، حتّى إنّ إحداهنّ غلبها الفضول فسألتْها عمّا يُثير قلقها في الطاولة المجاورة.

همست لها:

- ذو الشاربين التركيّين، لا أعلم لِمَ يبدو لي شبيهًا بأحد ما أعرفه.

نظرنَ جميعهنّ إليه بحذر.

- حسنًا، لا بأس به، قالت إحداهنّ بلا مبالاة وعُدْن إلى دردشتهنّ.

بيدَ أنّ آنا مجدلينا ما برحت تحسّ بالقلق حتّى إنّها لم تستطع أن تغفو في تلك الليلة إلّا بعد مشقّة، ثمّ استيقظت في الساعة الثالثة فجرًا مذعورة، يكاد قلبها يتوقّف. استيقظ زوجها أيضًا

لكنّها كانت قد استردّت أنفاسها فقصّت عليه كاذبةً ما ادّعت أنّه كابوس رأتْه في نومها، شبيه بالكوابيس المرعبة الأخرى التي كانت توقظها من نومها وهي عروس. ولأوّل مرّة تساءلت لِمَ لا تجرؤ في المدينة على فعل ما تفعله في الجزيرة، إذ كان لديها فيها العام كلّه وأمامها فرص يوميّة، سهلة التدبير. فعلى الأقلّ خمس من صديقاتها المتزوّجات عِشْنَ علاقات حبّ عابرة بمقدار ما استطعنَ، وفي الوقت عينه حافظنَ على حياتهنّ الزوجيّة مستقرّة. مع ذلك، فإنّ آنا مجدلينا لم تكنْ تتخيّل أنّ المدينة توفّر أيًّا من ظروف الجزيرة المثيرة والملائمة والتي لا يمكن فهمها إلّا بحيلة دبّرتها الأمّ بعد موتها.

طوال أسابيع عدّة لم تستطِعْ مقاومة إغراء العثور على ذلك الرجل الذي لا يدعها تعيش بسلام. فصارت تعود إلى المطعم في ساعاته الأشدّ ازدحامًا، ولم تكنْ تفوّت فرصة أن تجرّ معها بعض صديقاتها اللواتي تبدّلهنّ في كل مرّة، تفاديًا لأيّ لَبس بسبب تجوالها الانفراديّ، واعتادت مواجهة الرجال الذين تصادفهم في طريقها كلّهم بالقلق أو الفزع من أنْ تجد رجلها بينهم. مع ذلك، فإنّها لم تحتج إلى أي مساعدة لتنجلي في ذاكرتها صورة من تبحث عنه، فتبرق فيها بريقًا مُبْهِرًا. كان رجل مغامرتها الأولى في الجزيرة بذاته، ذاك الذي ترك لها بين صفحات الكتاب عارَ ورقة العشرين دولارًا، مقابل ليلة الحبّ التي أمضتها معه. ولم

تنتبه إلّا في تلك اللحظة إلى أنّها ربّما لم تتمكّن من التعرّف إليه في المطعم بسبب شاربيه المفتولين مثل شوارب الفرسان، فقد كان حليقَهما يوم رأتْه في الجزيرة. واظبت على الذهاب إلى المطعم الذي عادت ورأتْه فيه، وهي تحمل دائمًا ورقةً نقديّة من فئة العشرين دولارًا كي ترميها في وجهه، لكنّها مع مرور الوقت صارت لا تتبيّن بجلاءٍ الموقفَ الذي يتعيّن عليها أنْ تتّخذه حياله، فكلّما احتدّ غيظها، قلّ اهتمامها بالذكرى السيئة لذلك الرجل وبحوادث الجزيرة المؤسفة.

مع ذلك، فإنّه لمّا حلّ شهر آب، أحسّت بنفسها تفيض بالقوّة كي تبقى كما هي، على طباعها. بدت لها الرحلة في العبّارة أبديّة مثلما كانت دائمًا، أمّا الجزيرة نفسُها التي حلمت بها كثيرًا، فقد بدت لها أكثر صخبًا وفقرًا، وأوشكت سيّارة التاكسي التي أقلّتها إلى فندق العام السابق نفسِه أنْ تهوي بها إلى الوادي عند أحد المضائق. وهناك وجدت الغرفة التي تذوّقت فيها طعم السعادة شاغرةً، وعلى الفور تذكّر البواب نفسه صورة الزبون الذي كان يرافقها في شهر آب المنصرم، لكنّه لم يتمكّن من العثور في أرشيفه على أيّ أثر لاسمه. جابت متلهّفة أماكن أخرى حيث كانا معًا فوجدت أصنافًا من الرجال الوحيدين، التائهين، الذين كانوا أَكْفّاء لإخماد لظى ليلتها، لكنّ أيًّا منهم لم يبدُ لها كُفؤًا كي يحلّ محلّ الرجل الذي تصبو إلى لقياه. ولذا أنهت إجراءات التسجيل

في غرفة العام السابق نفسها، ثمّ قصدتِ المقبرة على الفور خوفًا من أن يُعاجلَها المطر.

كرّرت بقلقٍ كاد أنْ يكون خانقًا كلّ خطوة من الخطوات اللازمة كي تنهي سريعًا وبلا ألم روتين العام، وصولًا إلى لقاء أمّها. لم تعرفْها بائعة الأزهار المعتادة من الوهلة الأولى، إذ كانت تهرم كلّ عام أكثر، فحضّرت لها باقة الزنابق البديعة التي كانت تحضّرها لها دائمًا، إنّما بفتور بالغ هذه المرّة، وبسعر كاد أنْ يصل إلى ضعف السعر الحقيقيّ.

وأمام قبر أمّها أُصيبَت بصدمة كبيرة، إذ وجدت عليه كُوَمًا غريبة من الأزهار التي تَلِفَت تحت المطر. ولمّا عجزت عن تصوّر هويّة الشخص الذي وضعها هناك، سألت حارس المقبرة عنه ببراءة، فأجابها بالبراءة نفسها:

- إنّه السيّد المُعتاد الذي يأتي دائمًا.

وازدادت حيرتها حيرةً حينما أخبرها الحارس بأنّه لا يعلم أيّ شيء عمّن يكون ذلك الزائر المجهول الذي يأتي بلا مواعيد، في أيّ يوم من أيام السنة، ويغمر القبر بكامله بتلك الأزهار البديعة التي لم يرَها قطّ أحدٌ في مقبرة من مقابر الفقراء. وأضاف أنّ أزهاره وافرة دائمًا وغالية الثمن جدًّا، حتّى إنّه يشقّ عليه أنْ يزيلها عن القبر ما دام فيها رمق من ألقها الطبيعيّ. وَصَفَه بأنّه رجل ستّيني ترفّقت به السنون، له شعر أبيض مثل الثلج وشاربان

مثل شوارب أعضاء مجلس الشيوخ، ويحمل عكّازًا يتحوّل إلى مظلّة ليبقى خاشعًا بسكينة أمام القبر حينما تُمطر السماء. لم يسألْه قطّ أيّ سؤال، ولم يخبر أحدًا عن بهاء أزهاره ولا عن مقدار الإكراميّات التي يتركها له، لا بل إنّه لم يخبرها هي بالذات عن أيّ شيء من ذلك أثناء زياراتها السابقة إلى المقبرة، ليقينِه بأنّ رجل المظلّة الخفيّ ما هو إلّا أحد أفراد عائلتها.

أخفتِ اضطرابها وناولتِ الحارس إكراميّة مُعتَبَرة، وهي ترزح تحت وطأة اكتشافها الصاعق الذي قد يُفسِّر دفعة واحدة سرّ كثرة رحلات أمّها إلى الجزيرة بذريعة عمل تجاريّ يخصّها، لم يتبيّن قطّ أحد طبيعته وربّما لم يكن له وجود من الأساس.

وحينما خرجت آنا مجدلينا باخ من المقبرة، كانت قد أصبحت امرأةً أخرى. كانت ترتعش بشدّة فاضطرّ السائق إلى مساعدتها لتصعد إلى السيّارة لأنّها لم تتمكّن من السيطرة على ارتعاشها. لم يتبيّن لها إلّا في تلك اللحظة سرّ الزيارات الثلاث أو الأربع التي كانت تقوم بها أمّها إلى الجزيرة في كلّ عام، وكذلك سرّ إصرارها على أنْ تُدْفن فيها حينما أيقنت أنّها تحتضر في أرض غريبة عنها، بسبب مرضها الخبيث. ولم يتبيّن لها إلّا في تلك اللحظة أيضًا سبب الرحلات التي قامت بها الأمّ إلى الجزيرة في الأعوام الستّة السابقة لوفاتها، بالحميّة نفسها التي تدبّ فيها هي حينما تقوم برحلاتها الخاصّة. اعتبرت أنّ أسباب أمّها تلك

يمكن لها أن تكون أسبابها هي أيضًا، وأدهشها التشابه بينهما. لم تحسّ بالحزن بل بالحيويّة والنشاط لانكشاف ما كان خافيًا عليها ومعرفتها أنّ أعجوبة حياتها تكمن في أنّها أكملت حياة أمّها بعد مماتها.

ضاق صدر آنا مجدلينا من شدّة تأثّرها في ذلك المساء، فراحت تتسكّع تائهة على غير هدى في أحياء الفقراء البعيدة. ألفت نفسها من دون دراية منها أمام خيمة ساحر متجوّل يستطيع أن يحزر بساكسوفونه أيّ لحن شعبيٍّ شهير يدندنه سرًّا أيّ شخص من الجمهور. ولم تكن آنا مجدلينا لِتجرُؤ قطّ على طرح أيّ سؤال عليه لولا أنّها أحبّت أن تفرّج عن نفسها قليلًا في ذلك المساء، فسألتْه مازحة أين هو رجل حياتها، وأجابها بغموض وحذاقة:

– ليس بالقريب كما تشتهين ولا بالبعيد كما تظنّين.

عادت إلى الفندق بنفسيّة مُتعبة وهي لا تزال بمظهرها الرثّ. كان تِرّاس المطعم في الهواء الطلق يعجّ بزبائن شبّان وشابّات يرقصون بفرح عارم على أنغام فرقة موسيقيّة شبابيّة أيضًا، فلم تستطِعْ آنا مجدلينا مقاومة إغراءات الجيل السعيد لها بمشاركته الابتهاج. لم يكن هناك أيّ طاولة فارغة، بيدَ أنّ النادل تذكّرها من سنوات سابقة فتدبّر لها طاولة على عجل.

وبعد جولة الرقص الأولى تقدّمت فرقة موسيقيّة أخرى، واعدة أكثر، وشرعت تعزف مقطوعةَ *ضوء القمر* لديبوسي في

توزيع ملائم لأسلوب البوليرو، وغنّتْها صبيّة خلاسيّة رائعة بكلّ أحاسيس الحبّ.

تأثّرت آنا مجدلينا، فطلبت كأسًا من الجنِّ الممزوج بالثلج والصودا، مشروبِها الكحوليّ الوحيد الذي كانت لا تزال تسمح لنفسها بتناوله في الخمسين من عمرها.

لم يبدُ لها في حفلة تلك الليلة أيّ شيء غريب عن الجوّ سوى رجل وامرأة كانا إلى طاولة مجاورة: هو شابّ وجذّاب، وهي ربّما أكبر منه قليلًا، لكنّها فاتنة ومزهوّة بنفسها. كان يبدو بجلاء أنّهما في شجار أصمّ، وهما يتبادلان العتاب القاسي الذي تتبدّد أصداؤه في صخب الاحتفال. وفي الصمت الفاصل بين المقطوعات الموسيقيّة كانا يهدآن هدوءًا صارمًا كي لا يسمعهما زبائن الطاولات المجاورة، لكنّهما لا يلبثان أنْ يستأنفا الشجار بزخم أكبر أثناء عزف المقطوعة الموسيقيّة التالية. كان مشهدًا عاديًّا جدًّا في جوّ اللهو ذاك، ولم يثِرِ اهتمام آنا مجدلينا ولو بغرض التسلية. إلّا أنّها جَفَلَت من أعماقها لمّا كسرتِ المرأة فجأة كأسها على الطاولة بجدّيّة بالغة ونهضت لتجتاز حلبة الرقص باستقامة نحو الباب من دون أن تلتفت لأحد، وهي زاهية بنفسها وفتنتها، تعبر بين حشود أزواج الراقصين السعداء الذين أخذوا يفسحون لها الطريق. أدركت آنا مجدلينا أنّ الشجار انتهى، لكنّها تحلّت بالحشمة ولم تنظرْ إلى الرجل، إذ ظلّ ثابت الجَنان، جالسًا في مكانه.

ولمّا أنهتِ الفرقة الرسميّة جولة ألحانها الشبابيّة، شرعت فرقة أخرى، واعدة أكثر، تعزف لحن أغنية «**سيبونيه**» المُفعم بالحنين، فاستسلمت آنا مجدلينا لسحر نغماته التي امتزجت في أعماقها بالجنّ. وفي إحدى استراحات الفرقة، تلاقت نظراتها مصادفة بنظرات الرجل الذي ظلّ وحيدًا على الطاولة المجاورة. لم تحاولْ أنْ تتفاداه، فردّ عليها بانحناءة طفيفة من رأسه، وأحسّت بأنّها تعيش من جديد حدثًا بعيدًا من أيّام مراهقتها. أُصيبت بارتعاشة غريبة -كما لو كان ذلك للمرّة الأولى في حياتها-، وبثّ لهيب الجنّ في نفسها حماسة لم تكنْ من طباعها حتى تُبادر وتمضي معه إلى النهاية. لكنّه استبقها بالكلام.

- إنّ هذا الرجل نذل، قال.

فأجابتْه:

- أيّ رجل؟

- ذاك الذي تركَكِ تنتظرين.

ارتجف فؤادها لاعتقادها بأنّه يتحدّث إليها كما لو أنّه يرى بعينيه ما في دخيلتها، فرفعتِ الكلفة بينها وبينه وخاطبتْه بلهجة هازئة:

- على ما أرى، أنت مَنْ صُفِقَ في وجهك الباب.

فهم الرجل أنّها تشير إلى الحادثة التي وقعت منذ قليل وأدّت إلى بقائه وحيدًا.

– دائمًا ينتهي بنا الأمر هكذا، إلّا أنّ استياءَها لا يدوم طويلًا، قال. وتابع كلامه حتّى بلغ مبلغه الأخير:

– أمّا أنتِ فليس لديكِ من سبب يدعو لأنْ تكوني وحيدة.

حدّقت إليه بنظرة مفعمة بالمرارة.

– في سنّي هذه جميع النساء وحيدات.

قال الرجل بحماسة متجدّدة:

– بناءً على كلامك، فإنّ هذه الليلة هي ليلة سعدي.

نهض وفي يده الكأس وجلس إلى طاولتها من دون مقدّمات، أمّا هي فكانت تحسّ بنفسها حزينة ووحيدة حتّى إنّها لم تمانع في ذلك. طلب لها كأسًا من الجنّ، مشروبها المفضّل، فنسيت للحظة شجونها وعادت لتكون هي ذاتها مثلما كانت في ليالي وحدتها الأخرى. ومرّة أخرى لعنتِ الساعة التي مزّقت فيها بطاقة رجلها الأخير، إذ أحسّت بعجزها عن الإحساس بالسعادة من دونه في تلك الليلة، ولو ساعة واحدة فقط. ولذا نهضت للرقص مع الرجل لمجرّد الاسترخاء، غير أنّه راقصها ببراعة وجعلها تشعر بالتحسّن في مزاجها.

لمّا عادا إلى الطاولة بعد جولة من رقص الفالس، تنبّهت إلى أنّها فقدت مفتاح غرفتها، فبحثت عنه عبثًا في حقيبة يدها وتحت الطاولة. وفجأة، أخرج الرجل المفتاح من جيبه بخفّة محاكيًا الحُواة، وصاح بأعلى صوته كما في لعبة الروليت معلنًا رقم الغرفة:

- رقم الحظّ السعيد: ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون!

التفت زبائن الطاولات الأخرى إليهما بأبصارهم. ولم تحتملْ آنا مجدلينا ابتذال مزحته، فمدّت له يدها بصرامة وعبوس. أحسّ الرجل بخطئه وأعاد لها المفتاح، فتناولتْه بصمت وغادرتِ الطاولة.

توسّل إليها وهو يتبعها مضطربًا:

- دعيني أرافقك على الأقلّ. لا يجوز لأحد أن يظلّ وحيدًا في مثل هذه الليلة.

قفز عن كرسيّه ربّما كي يودّعها، أو ربّما كي يرافقها أيضًا. ولربّما هو ذاته لم يكن يتبيّن الأمر بوضوح، أمّا هي فقد ظنّت أنّها أدركت غايته.

- لا تزعج نفسك، قالت له.

فبدا عليه الانزعاج والضيق.

قالت بإلحاح:

- لا تشغل بالك، فابني كان سيفعل الشيء نفسه في السابعة من عمره.

وغادرت بتصميم وحزم، لكنّها لم تكد تصل إلى المصعد حتّى تساءلت إنْ لم تكن قد استخفّت بفرصتها في الحصول على السعادة، وفوّتتْها على نفسها في الليلة التي تحتاج إليها أكثر من غيرها. غفت والأضواء مشتعلة، فيما تجادلُ نفسها إنْ

كان عليها أنْ تبقى في غرفتها كي تنام، أو ترجع إلى البار بعزيمة صلبة كي تواجه قدَرها. ولمّا بدأ يؤرّقها أحد الكوابيس المتكرّرة التي تراها في أوقاتها السوداء، أيقظتْها بعض الطَّرقات الخفيّة على الباب. كانتِ الأضواء لا تزال مشتعلة، أمّا هي فراقدة على صدرها، بملابسها التي بقيت عليها بلا وعي منها. استمرّت على هذه الحال، وهي تعضّ المخدّة التي تشرّبت بالدموع كي لا تسأل عمّن في الباب، إلى أنْ كفَّ الطارق عن الطرق. وحينذاك، استرخت في السرير من دون أنْ تخلع ملابسها أو أنْ تطفئ الأضواء، وعادت لتنام وهي تبكي قهرًا من نفسها، لعاثر حظّها في أنْ تكون امرأةً في عالم يسوده الرجال.

ولم تكنْ قد نامت أكثر من أربع ساعات حينما أيقظها عامل الاستقبال كي لا تَفوتها عبّارة الساعة الثامنة. هبّت من السرير هبّةً لم تحسن القيام بمثلها في الوقت المناسب خلال أيّامها التعيسة في الجزيرة، لكنّها اضطرّت لانتظار حارس المقبرة ساعتين كي يُعلِمَها بالإجراءات اللازمة لاستخراج رُفات أمّها من القبر. ولم تتّصلْ بزوجها إلّا حينما تأكّدت من إتمام المهمّة، وذلك بعدما تجاوزتِ الساعة الثانية عشرة ظهرًا، فأخبرتْه على الهاتف كاذبةً أنّ العبّارة فاتتْها، لكنّها ستعود حتمًا في المساء.

استخرج الحارس التابوت بمعونة حفّار قبور استُقدِم للمناسبة مقابل أجر، ثمّ رفعا معًا الغطاء عنه بلا رأفةٍ وبمهارة حُواة الأسواق الشعبيّة. فرأت آنا مجدلينا حينذاك نفسها في النعش المفتوح كما

في مرآة بطول جسمها، بابتسامة جليديّة وذراعين متصالبتين على الصدر. ورأت نفسها مطابقة لأمّها وبعمرها نفسه في ذلك اليوم، وبالطرحة والقوس اللذين تزوجت بهما، وبإكليل الزمرّد الأحمر وخواتم العرس، وذلك مثلما كانت الأمّ قد ارتدتْها بأكملها وهي تزفر زفرتها الأخيرة. ولم ترَها مثلما كانت في الحياة وحسب، بحزنها ذاته الذي لا عزاء له، بل أحسّت أيضًا بنظراتها إليها من عالم الموت، وبحبّها لها وبكائها عليها، إلى أن تحللّ جسدها إلى غباره الأخير ولم يتبقَّ منه إلّا الهيكل العظميّ المتآكل الذي نظّفه الحارس والحفّار بمكنسة ووضّباه في كيس خاصّ لحفظ العظام.

بعد ساعتين ألقت آنا مجدلينا نظرة الإشفاق الأخيرة على ماضيها الشخصيّ، ورمت تحيّة الوداع الأبديّ على عشّاقها المجهولين الذين التقت بكلٍّ منهم لليلة واحدة فقط، وكذلك على الساعات والساعات الطويلة التي أمضتْها في عدم اليقين وتناثرت منها هنا وهناك في الجزيرة وظلّت فيها. كان البحر هادئًا، يلمع بلون الذهب تحت شمس الأصيل. وعند الساعة السادسة، لمّا رآها زوجها تدخل المنزل وهي تجرّ وراءها بوضوح كيس العظام، لم يستطِعْ أن يغالب دهشته.

قالت له:

- هذا ما تبقّى من أمّي، ثمّ استبقت ذعره، وأردفت: لا تخَفْ، فهي تفهم الأمر. بل أكثر من ذلك، فأنا لا أظنّ أنّ أحدًا سواها كان قد فهمه حينما قرّرت أن تُدفَنَ في الجزيرة.

ملاحظات المحرّر

في الثامن عشر من شهر آذار من العام 1999 تلقّى قرّاء غابرييل غارسيّا ماركيز نبأً سعيدًا مفاده أنّ الكاتب الكولومبيّ الحائز على جائزة نوبل للآداب يعمل على إعداد كتاب جديد مكوّن من خمسة فصول يشكّل كلٌّ منها قصّة مستقلّة بذاتها، بطلتُها هي الشخصيّة نفسها: آنا مجدلينا باخ. وبعد ثلاثة أيّام على ذلك قامت صاحبة السبق الصحافيّ، الصحافيّة روسا مورا، بنشر مقابلة مع الكاتب في صحيفة *البايّس* إلى جانب الفصل الأوّل من الكتاب الذي حمل عنوان «موعدُنا في شهر آب». كان غابرييل غارسيّا ماركيز قد قرأ هذا الفصل قبل عدّة أيّام في «كاسا أميركا» في مدريد، حيث شارك مع خوسيه ساراماغو، الحائز أيضًا على جائزة نوبل للآداب، في ندوة حول قوّة الإبداع في أدب أميركا اللاتينية. وبدلًا من أنْ يلقي ماركيز كلمة احتفاليّة، فاجأ جمهوره وقرأ عليه النسخة الأوّليّة من الفصل الأوّل من الرواية التي نضعها بين أيدي القرّاء اليوم. وأضافت روسا مورا: «إنّ ما نُشِرَ تحت عنوان ''موعدُنا في شهر آب'' يشكّل فصلًا من كتاب يتضمّن ثلاثة

فصول أخرى مجموعها يبلغ مائة وخمسين صفحة، انتهى غابو من كتابتها عمليًّا، لكنّه قد يضيف عليها فصلًا رابعًا لأنّه، بحسب ما يوضح، خطرت له فكرة جديدة، تستهويه ويريد أن يضمّنها في الكتاب. أمّا القاسم المشترك لفصول الكتاب جميعًا فهو أنّها تعالج موضوع الحبّ لدى من تقدّم بهم السنّ قليلًا».

وبعد عدّة سنوات جعل الحظّ مصيري يلاقي مصير ماركيز، أحد كتّابي المفضّلين منذ سِنِي مراهقتي. كان شغفي بقراءة أعماله، إلى جانب أعمال رولفو وبورخيس وكورتاثَر، قد قادني إلى عبور المحيط الأطلسيّ وصولًا إلى جامعة تكساس في أوستن لأحضّر هناك رسالة الدكتوراه في أدب أميركا اللاتينيّة. وفي شهر آب من العام 2001، بعد عودتي إلى برشلونة محرّرًا لمنشورات «راندوم هاوس مونداموري»، اتّصلت بي كارمِن بالثِلْس واستدعتْني إلى وكالتها شبه الخالية في تلك الأيّام الصيفيّة. كان عليها أن تصلَني هاتفيًّا بغابرييل غارسيّا ماركيز، وذلك لحاجته إلى محرّر جاهز للعمل فورًا بغية نشر مذكّراته، لأنّ محرّره المُعتاد، صديقي العزيز كلاوديو لوبيث لامَدريد، كان في إجازة. وهكذا بدأ عملي مع الكاتب الكولومبيّ كتفًا إلى كتفٍ في تحرير النسخة النهائيّة من كتابه الذي يحمل عنوان **عشتُ لأروي**، فأخذتُ أراجع مخطوطته التي كانت تصلني

شيئًا فشيئًا بالبريد الإلكترونيّ أو بالفاكس، وأعيدها إليه مرفقة بملاحظاتي التي كانت تقوم أساسًا على التحقّق ممّا يرد في النص من معلومات ومعطيات. تَشكّرني شكرًا خاصًا على إخباره أنّ رواية *المَسْخ* لكافكا التي غيّرت عالمه الروائيّ بعد قراءته لها، لم تكن من ترجمة بورخيس فعلًا، وإن كانت الطبعة الأرجنتينيّة التي قرأها أسندت الترجمةَ لبورخيس وذكرت اسمه على الغلاف. ومع أنّ ماركيز كان في لوس أنجلس في فترة نقاهة من مرض ألمّ به، فقد سمح لي إسهامي في التحرير معه عن بعد أن أكون شاهدًا على ورشة عمل الكاتب، منذ إعادة كتابة الفصل المكرّس للحوادث التي عصفت ببوغوتا عام 1948 والمعروفة باسم «بوغوتاثو»، حتّى التغيير الألمعيّ لحرف واحد في العنوان، تفاديًا للنزاع مع كاتب آخر. ومع أنّني تمكّنت من التعرّف إليه وإلى زوجته مرسيدس بارتشا شخصيًّا بمصادفة غير متوقّعة في أحد مطاعم برشلونة، فقد تأخّر استئنافنا لعلاقتنا التي تجمع بين الكاتب والمحرر حتّى العام 2008.

في شهر أيّار من العام 2003، وبعد إقامة طالت قليلًا في لوس أنجلس، عاد غابرييل غارسيّا ماركيز ومرسيدس بارتشا إلى منزلهما في مكسيكو، حيث استقبلتْهما سكرتيرتهما الخاصّة الجديدة التي تعاقدا معها مؤخّرًا، وهي مونيكا ألونسو. إنّ شهادتها

حاسمة لإعادة بناء الترتيب الزمنيّ في عمليّة كتابة ماركيز لرواية ***موعدُنا في شهر آب***. تشير مونيكا ألونسو إلى أنّ الكاتب انتهى في التاسع من شهر حزيران من العام 2002 من مراجعة المَلازِم النهائيّة من مذكّراته، وهي مهمّة كان يساعده فيها المحرّر أنطونيو بوليفار. وفي اليوم الذي أُزيلَت فيه عن مكتبه نسخ هذا الكتاب وسلّمه للناشر، إضافة إلى الملاحظات حوله، أتاه خبر وفاة أمّه. وبهذه المصادفة العجيبة خُتِمَ كتاب المذكّرات الذي استهلّه بهذه العبارة: «طلبت إليّ أمي أنْ أرافقها كي نبيع المنزل». وهكذا وَجَدَ الكاتب نفسه من دون مشروع وشيك يعمل عليه، وإذا بمونيكا تعثر أثناء تفقّدها لأدراج المكتب على ملفّ يحتوي مخطوطتين: الأولى تحمل عنوان «هي»، والثانية عنوانها «موعدُنا في شهر آب». ومنذ آب من العام 2002 وحتّى تمّوز من العام 2003 انكبّ ماركيز على العمل بكثافة في مخطوطة «هي»، التي تَغَيّر عنوانها وقت نشرها في العام 2004، وأصبح ***ذاكرة غانياتي الحزينات***. وهذا العمل كان آخر عمل إبداعيّ ينشره ماركيز وهو على قيد الحياة.

إلّا أنّ نشر جزء آخر من ***موعدُنا في شهر آب*** خلال شهر أيّار من العام 2003 بدا إعلانًا رسميًا من ماركيز بأنّه يمضي قدمًا أيضًا في مشروعه الروائيّ الأخير. فقد نُشر الفصل الثالث من هذا الكتاب على أنّه قصّة تُنشر لأوّل مرّة تحت عنوان «ليلة الخسوف» في

مجلّة **كامبيو** الكولومبيّة وذلك في التاسع عشر من أيّار من العام 2003، ثمّ نُشِرَ أيضًا في صحيفة ***البايّس*** بعد عدّة أيام. تُشير مونيكا ألونسو إلى أنّ الكاتب ومنذ شهر تمّوز في العام 2003 استأنف العمل بكثافة على مخطوطة هذه الرواية. وهكذا تجمّعت لديه، منذ ذلك الحين وحتّى نهاية العام 2004، خمس نسخ مرقّمة بالتتالي، فضلًا عن بعض المسوّدات الأوّليّة المبكّرة ونسخة أخرى أتى بها من لوس أنجلس. وهذه النسخ التي تحمل تاريخ كتابتها، جميعها موجودة بين أوراق مكتب ماركيز المحفوظة في مركز هاري رانسوم في جامعة تكساس في أوستن.

وبعد أنْ وصل ماركيز إلى النسخة الخامسة من الرواية، كفّ عن العمل عليها، وأرسل نموذجًا عنها إلى وكيلته في برشلونة، كارمن بالثِلْس. «أحيانًا، يجب ترك الكتب كي ترتاح»، أسرّ ماركيز إلى مونيكا ألونسو. إلّا أنّه كان على موعد مع حدث مهمٍّ -الاحتفال بالذكرى الأربعين لصدور ***مئة عام من العزلة***، وإصدار الأكاديميّة الملكيّة للّغة الإسبانيّة طبعة تذكاريّة منها- فانشغل بالتحضيرات للمناسبة. وكانت مشاركته في الجلسة الافتتاحيّة للمؤتمر، في السادس والعشرين من شهر آذار من العام 2007، حدثًا من آخر الحوادث الكثيرة التي ظهر فيها علنًا على الجمهور.

في شهر آذار من العام 2008، وبعد أنِ استقرَرْت بمكسيكو مديرًا للتحرير في دار «راندوم هاوس موندادوري» للنشر، استأنفتُ علاقتي المهنيّة مع ماركيز، بتكليف من كارمن بالثِلْس، بغية العمل على كتاب يجمع بين دفّتيه نصوصَه التي قرأها على الجمهور، وصدر بعد عامين بعنوان *لم آتِ لألقيَ خطابًا*. أسفرت زياراتي المتكرّرة له في مكتبه، والتي كانت تتمّ بمعدّلِ مرّة واحدة على الأقلّ شهريًّا، عن أحاديث مطوّلة معه عن الكتب والكتّاب، فضلًا عن مواضيع أخرى عالجها في نصوص تلك الطبعة.

وفي صيف العام 2010 أخبرتْني كارمن بالثِلْس ونحن في برشلونة أنّ ماركيز لديه رواية غير منشورة، لم يتمكّن بعد من إيجاد خاتمة لها، فطلبت إليّ أنْ أحفّزه على إنهائها. وأبلغتْني مُقدّمًا أنّ الرواية تتحدّث عن امرأة متزوّجة، في منتصف العمر، تزور سنويًّا الجزيرة التي دُفِنَت فيها أمّها، فتلتقي هناك برجل حياتها. وفور عودتي إلى مكسيكو، كان أوّل ما قمت به هو سؤال غابو عن الرواية والبوح له بكلمات وكيلته، كارمن بالثِلْس. أَسَرّ لي غابو مبتسمًا أنّ بطلة روايته لا تعثر على رجل حياتها أثناء زياراتها إلى الجزيرة، بل على عشيق جديد في كلّ مرّة تقصدها. ولكي يُثْبِتَ لي أنّه وجد للرواية خاتمة فعلًا، طلب إلى مونيكا النسخة الأخيرة منها، وكانت لا تزال ضمن ملفٍّ من ماركة

لويشتروم الألمانيّة التي يحفظ بها مخطوطاته عادة، ثمّ قرأ عليّ الفقرة الأخيرة التي يختم بها القصّة ختامًا مدهشًا. كان شديد التكتّم على عمله الذي لا يزال قيد الإنجاز، لكنّه سمح لي بعد بضعة أشهر أن أقرأ ثلاثة فصول منه بصوت عالٍ وأنا بجانبه. والآن أتذكّر ذلك الانطباع الذي خلّفه في نفسي، ببراعته المطلقة في معالجة موضوع مُبتَكَر لم يتطرّق له من قبل في أيّ من أعماله السابقة كلّها، كما أتذكّر أيضًا أملي حينذاك بأن يتمكّن قرّاؤه ذات يوم من أنْ يطّلعوا عليه.

أصبحت ذاكرته تخونه فلا تتيح له أن يوفّق بين عناصر نسخته النهائيّة كلّها، ولا أن يُثَبّت التصحيحات التي أجراها عليها، لكنّ مراجعة النص لبعض الوقت كانت أفضل طريقة لديه لملء أيّامه وهو في المكتب، يقوم بما يراه أكثر الأعمال قربًا إلى نفسه: اقتراح صفة جديدة هنا أو التفكير في تفصيلٍ ما، يمكن تغييره هناك. كانت النسخة الخامسة من الرواية نسخته المفضّلة بوضوح، وقد حملت تاريخ الخامس من تمّوز 2004، وكَتَبَ على الصفحة الأولى منها بخطّ يده: «موافقة نهائيّة، مؤكّدة. تفاصيل حولها في الفصل الثاني. انتباه: قد يكون الفصلُ الأخيرِ فصلَ الختام/ هل هو الأفضل؟»؛ لكنّه قرّر أن يضيف عليها بمعونة مونيكا بعض تصوّراته الأخرى، المدوّنة في نسخ سابقة. كانت

مونيكا قد احتفظت في الوقت نفسه بنسخة رقميّة لا تزال تتعايش بين ثناياها مقاطع من خياراتٍ أو مشاهدَ أخرى كان الكاتب قد أولاها أهميّة سابقًا. هاتان الوثيقتان هما الأساس الذي اعتمدناه لإصدار هذه الطبعة.

إنّ العلاقة بين الكاتب والمحرّر هي عهدٌ من الثقة المُتبادَلة القائمة على الاحترام. وليست مزيّة العمل مع غابرييل غارسيّا ماركيز إلّا تمرينًا مستمرًّا على التواضع الذي يرتكز أساسًا -في حالتي أنا- على كلماته التي قالها لي هو حينما ناولتْني كارمِن بالثِلْس سمّاعة الهاتف لإجراء مكالمتنا الهاتفيّة الأولى: «أريد منك أن تذهب في نقدك إلى أقصى حدّ ممكن، فأنا ما إنْ أضع نقطة النهاية في العمل، حتّى أتركه ولا أعود إلى مراجعة أيّ شيء فيه». لقد كان عملي في هذه الطبعة مثل عمل المرمّم الذي يقف أمام لوحة فنّيّة لمعلّم عظيم. فانطلاقًا من الوثيقة الرقميّة التي احتفظت بها مونيكا ألونسو وقارنتُها أنا بالنسخة الخامسة -حيث أخذ ماركيز يضيف في سنواته الأخيرة بعض التصويبات الطفيفة التي أتى بها من نسخ أخرى- التي كان يعتبرها الكاتب نهائيّة؛ راجعتُ كلّ تذييل دوّنَه بخطّ يده أو أملاه على مونيكا ألونسو، كما راجعتُ كلّ كلمة أو جملة بدّلها أو استبعدها، وكلّ خيار وجدتُه على أيّ هامش، كي أقرّر صلاحيّة إدماجه في هذه

النسخة النهائيّة. إنّ عمل المحرّر لا يقوم على تغيير نصّ الكتاب، إنّما على جعله أكثر تماسكًا، انطلاقًا ممّا هو مكتوب على الورق، وهذا كان بالطبع جوهر عملي في تحرير هذه الرواية. وذلك يشمل بلا ريب عمليّة التحقّق من صحّة المعلومات الواردة فيها وتصويبها، فضلًا عن أشياء أخرى، بدءًا من أسماء الموسيقيّين أو الكتّاب المذكورين، وحتّى الاتّساق في عمر بطلة الرواية مع مجرى الحوادث، مثلما تصوّره ماركيز نفسه في ملاحظاته على الهوامش.

آمل أن يشاركني قرّاء ***موعدُنا في شهر آب*** شعوري بالتقدير والإعجاب الذي شعرتُ به خلال عشرات المرّات التي قرأتُ فيها هذا النص، قراءةً أحسستُ خلالها بحضور غابو فوق رأسي، تمامًا كما في الصورة التي التقطتْها لنا مونيكا ألونسو ذات يوم ونحن نصحّح معًا مسوّدات كتاب خُطَبِهِ.

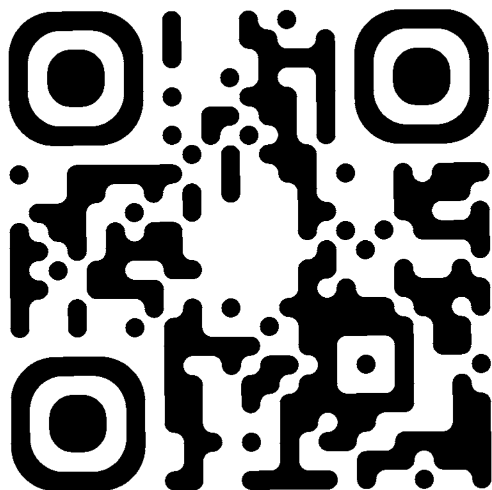
أتوجّه بالشكر العميق إلى رودريغو غارسيّا بارتشا وشقيقه غونثالو على الثقة التي منحاني إيّاها في ذلك اليوم السعيد من شهر آب، حينما اتّصلا بي هاتفيًّا وأخبراني بأنّهما قرّرا ضرورة نشر رواية ***موعدُنا في شهر آب***، وأبلغاني بأنّني سأكون أنا محرّرها. وأمام جسامة المسؤوليّة وثقلها، كان تشجيعهما لي وثقتهما بي أثناء الشهور التي استغرقها إنجاز المشروع،

أكبر مكافأة نلتها في حياتي على عملي في التحرير. أمّا ذكرى مرسيدس بارتشا فقد كانت حاضرة دائمًا طوال تلك الشهور، فهي التي قرّرت ذات يوم أن تفتح لي أبواب بيتها بسخاء، فضلًا عن أبواب مكتب زوجها الراحل. وهنا يجب التنويه أيضًا بدور مونيكا ألونسو، إذ كان إخلاصها للكاتب والتزامها بمتطلّباته حاسمَيْن كي يرى النصّ النور ويصل إلى أيدينا، وأنا ممتنّ لها على الوقت الذي منحتني إيّاه لإعادة بناء هذه الرواية التي كتبها غابو. ونحن أيضًا مدينون جميعًا بالشكر لأعضاء فريق العمل في مركز هاري رانسوم في جامعة تكساس في أوستن، على استنساخهم الرقميّ لمخطوطات هذه الرواية، والذي كان ضروريًّا للوصول إلى هذه النسخة التي بين أيدينا، وهم: ستيفن إِنس وَجيم كون وَفيفيه بيرنس وَكاساندرا تشين وَإليزابيث غارفر وَأليخاندرا مارتينِث. كما إنّني أعبّر عن امتناني لصديقي المحرّر العظيم، غاري فيسكِتجون، على محادثة جرت بيننا وساعدتني على التخلّص من ارتباك المحرّر، فقد استرشدتُ بتجربته، مثلما لا أزال أسترشد بتجربة فقيدنا، الصديق سوني ميتا، المحرّر الأكبر الذي كان سيُسرّ جدًّا لو أنّه نشر هو هذا الكتاب. أتوجّه بشكر خاصّ جدًّا إلى زوجتي إليزابيت، وإلى ولدينا نيكولاس وفاليري، لدعمهم لي ووقوفهم إلى جانبي أثناء عملي الطويل

في الطابق العلويّ المُلحَق بالمنزل، وأنا حبيس مع الرواية. وأخيرًا يبقى امتناني الأعمق لغابو، على إنسانيّته وبساطته والتأثّر الذي كان يبديه دائمًا حيال أيّ شخص يقترب منه ظانًّا أنّه إله، فيبيّن له بابتسامته المعهودة أنّه إنسان. وذكراه في هذه الشهور كانت الحافز الأكبر لبلوغ ما بلغناه.

كريستوبال بيرا

شباط 2023



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

النسخة الأصليّة

أربع صفحات مصوّرة طبقًا للأصل

في ما يلي نقدّم أربع عيّنات، مصوّرة طبقًا للأصل عن صفحات من الملفّ الموسوم بـ«النسخة 5» من رواية «موعدُنا في شهر آب». كانت مونيكا ألونسو، سكرتيرة ماركيز، قد رتّبت هذه الملفّات وصنّفتها، فضلًا عن احتفاظها على الحاسوب بوثيقة وورد رقميّة، أخذت تَخْرُج منها تباعًا النسخ المتعدّدة من الكتاب. حينما لم يَعُدْ ماركيز قادرًا على معالجة المنظور العامّ للرواية، في السنوات الأخيرة من حياته، كان يُجري في نسخ أخرى بعض التصحيحات والتنقيحات والتعديلات الطفيفة التي أخذت تترسّخ تباعًا في هذه النسخة الموسومة بخط يده بعبارة: «موافقة نهائيّة، مؤكّدة».

Version 5
5 julio, 04

Gabriel García Márquez

En agosto
nos vemos

غلاف النسخة 5

الصفحة الأولى من الملفّ الموسوم بـ«النسخة 5». كان ماركيز في السنوات الأخيرة من حياته، يرسّخ تباعًا في هذه النسخة تعليقاته التي أجراها على نسخ سابقة أخرى. ومع أنّ هذه الصفحة الأولى تحمل ما كتبه بخطّ يده: «موافقة نهائيّة، مؤكّدة»، فإنّ هذه النسخة تحتوي أيضًا مقاطع صُحّحَت في نسخة الوورد الرقميّة التي احتفظت بها سكرتيرته، مونيكا ألونسو.

vísperas de la tercera edad. Se estiró las mejillas hacia atrás con los cantos de las manos para acordarse de cómo había sido de joven. Pasó por alto las arrugas del cuello, que no tenían remedio, y se revisó los dientes perfectos y recién cepillados después del almuerzo en el transbordador. Se frotó con el pomo del desodorante las axilas bien afeitadas y se puso la camisa de algodón fresco con las inciales *AMB* bordadas a mano en el bolsillo. Se cepilló el cabello indio, largo hasta los hombros, y se amarró la cola de caballo con la pañoleta de pájaros. Para terminar se suavizó los labios con el lápiz labial de vaselina simple, se humedeció los índices en la lengua para alisarse las cejas encontradas, se dio un toque de *Maderas de Oriente* detrás de cada oreja, y se enfrentó por fin al espejo con su rostro de madre otoñal. La piel sin un rastro de cosméticos tenía el color y la textura de la melaza, y los ojos de topacio eran hermosos con oscuros párpados portugueses. Se trituró a fondo, se juzgó sin piedad, y se encontró casi tan bien como se sentía. Sólo cuando se puso el anillo y el reloj se dio cuenta de su retraso: faltaban seis para las cuatro. Pero se concedió un minuto de nostalgia para contemplar las garzas que planeaban inmóviles en el vapor ardiente de la laguna. Los nubarrones negros del lado del

الصفحة 3 من النسخة 5

في هذه الصفحة يمكن للمرء أن يلحظ آثار التصحيح الذي كان ماركيز يُخضِع نصّه له في مراجعات لاحقة. وهنا يبدو وصف بطلة الرواية بأنّها «على أبواب العمر الثالث» مُعلّمًا بإشارة استفهام، وهذا الوصف يختفي لاحقًا في النسخة النهائيّة، ذلك أنّ عمر آنا مجدلينا باخ كان ستًّا وأربعين سنة فقط. وهنا نرى أيضًا بعض التعديلات الطفيفة الأخرى التي نقلها ماركيز من نسخة الوورد الرقميّة.

mayores de cuando el hotel era el único. Una niña mulata cantaba boleros de moda y el mismo Agustín Romero, ya viejo y ciego, la acompañaba bien en el mismo piano de media cola de la fiesta inaugural. ?

Terminó de prisa, tratando de sobreponerse a la humillación de comer sola, pero se sintió bien con la música, que era ~~suave~~ y sedante, y la niña sabía cantar. Cuando terminó sólo quedaban tres parejas en mesas dispersas, y justo frente a ella un hombre distinto que no había visto entrar. Vestía de lino blanco, con el cabello metálico y el bigote romántico terminado en puntas. Tenía en la mesa una botella de brandy y una copa a la mitad, y parecía estar solo en el mundo.

El piano inició el *Claro de Luna* de Debussy en un aventurado arreglo para bolero, y la niña mulata la cantó con amor. Conmovida, Ana Magdalena pidió una ginebra con hielo y soda, el único alcohol que se permitía y sobrellevaba bien. ~~Había aprendido a disfrutarla con su esposo, un alegre bebedor social que la trataba con la cortesía y la complicidad de un amante escondido.~~ El mundo cambió desde el primer sorbo. Se sintió bien, pícara, alegre, capaz de todo y embellecida por la mezcla sagrada de la música con la ginebra.

الصفحة 10 من النسخة 5

هنا يصف الكاتبُ رجلَ الفصل الأوّل بأنّه ذو «شاربين مفتولين مثل شوارب الفرسان»، لكنّ هذا الوصف يزول من النسخة النهائيّة. في الفصل السادس تصادف بطلةُ الرواية هذا الرجلَ في المدينة، لكنّها تتكلّف بعض الوقت كي تتذكّره، لأنّها حينما تعرّفت إليه كان من دون شاربين: «ولم تنتبه إلّا في تلك اللحظة إلى أنّها ربّما لم تتمكّن من التعرّف إليه في المطعم بسبب شاربيه المفتولين مثل شوارب الفرسان، فلقد كان حليقَهما يومَ رأتْه في الجزيرة».

V. Cap. 1

18

penumbras. Él roncaba entonces con un silbido tenue. Por simple travesura, ella empezó a toquetearlo con la punta de los dedos. Él dejó de roncar con un sobresalto abrupto y empezó a revivir. Ella lo abandonó por un instante y se quitó de un tirón la camisola de noche. Pero cuando volvió a él fueron inútiles sus artes, pues se dio cuenta de que se hacía el dormido para no complacerla por tercera vez. Así que volvió a ponerse la camisola, y se durmió a fondo de espaldas a él.

Su horario natural la despertó a las seis. Yació un instante divagando con los ojos cerrados, sin atreverse a admitir el latido de dolor de sus sienes, ni la náusea helada, ni el desasosiego por algo ignoto que la esperaba en la vida real. Por el ruido del ventilador se dio cuenta de que había vuelto la luz y la alcoba era ya visible en el alba verde de la laguna. De pronto, como el rayo de la muerte, la fulminó la conciencia brutal de que había fornicado y dormido por la primera vez en su vida con un hombre que no era el suyo. Se volvió a mirarlo asustada por encima del hombro, y no estaba. Tampoco estaba en el baño. Encendió las luces generales, y vio que no estaba la ropa de él, y en cambio la suya, que había tirado por el suelo, estaba doblada y puesta casi con amor en la silla. Hasta entonces no se había dado

الصفحة 18 من النسخة 5

في هذه الصفحة، كما في صفحات كثيرة أخرى، يمكن للمرء أنْ يلحظ تصحيحاتٍ بخطّ سكرتيرة ماركيز، مونيكا ألونسو، حينما تضيف مثلًا صفة «حارقة». كان من المعتاد أحيانًا أن تقرأ هي النصّ بصوتها، فيطلب إليها ماركيز أن تُجري بعض التعديلات بخطّ يدها. وفي الوقت عينه، كانت بعض التعديلات الأخرى تُنْقَل مباشرة إلى نسخة الوورد الرقميّة، مثل تردّده في استخدام صفة «خفيفًا» التي انتهى بها الأمر لأن تصبح «منتظمًا».

– انتهى –

غابرييل غارسيا ماركيز

موعدُنا في شهر آب

الرواية الاستثنائية المكتشَفة...

هدية غير متوقعة من أحد أعظم الكتّاب الذين عرفهم العالم على الإطلاق.

في السادس عشر من شهر آب من كل سنة، اعتادت آنا ماجدلينا أن تستقلّ العبّارة إلى جزيرة دُفنت فيها أمها. فتضع باقة من الزنابق على قبرها، وتمضي ليلتها في فندق السيناتور، ثم تعود في اليوم التالي إلى منزلها وعائلتها. لكن، في آب الذي كانت قد بلغت فيه السادسة والأربعين عامًا حدث تغيّر. تلتقي في الحانة برجل وتُمضي الليلة معه... فكانت المرة الأولى لها مع غير زوجها دومينيكو.

على الرغم من أن هذا المجهول ظنّ أنها مومس، فقد بقيت مهووسة بهذا اللقاء. وفي السنة التالية، لم تعثر على هذا الرجل، إلا أنها بدأت مرحلة جديدة في حياتها إذ راحت تبحث عن مغامرة أخرى. وهكذا في كل آب، كانت تعيش مغامرة جديدة: لقاء مع قواد وقاتل، علاقة مع أسقف، مصادفة صديق الطفولة بعد فراق طويل... خلال هذا الوقت، بدأ زواجها يتفكّك تدريجًا، وعندما تكتشف، أخيرًا، لماذا اختارت والدتها أن تُدفن في هذا المكان بالذات، تتساءل آنا إن كانت تلك المغامرات قد وصلت إلى نهايتها...

بأسلوبه المدهش باستمرار، والحسّي المبهج، يأخذنا ماركيز خلال الأمسيات في الجزيرة إلى المناطق النائية لرغبات آنا والخوف المختبئ في قلبها، ويتأمل بعمق في الحرية، والندم، والتحول الذاتي وأسرار الحب... تاركًا لنا في آخر ما كتب، أغنية للحياة والرغبات التي تقاوم مرور الزمن.

daraltanweer.com

